أبو الريحانتين

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

مكرمات ومواقف

إعداد
حسن مغنية

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

www.haydarya.com

أبو الريحانتين

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

مكرمات ومواقف

أبو الريحانيتين

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

مكرمات ومواقف

إعداد

حسن مغنية

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

الإدارة: ٩/ ٨٣٤٧٤٨ ـ ٨٢١٨٤٣ ـ المخازن: ٨٢٣٨٢٩ ـ المطابع: ٨٣١٦٤٠

هاتف دولي وفاكس: ٠٠١٢١٢٤٧٨١٩٧٩

بناية لاند ترايد ـ بئر حسن ـ ص. ب: ١٣/٥٢٥١ بيروت ـ لبنان

النجف الأشرف

الإهـــــــداء

إليك !

يا إمام المتقين ، ويعسوب الدين ، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم .

يا أخ الرسول وزوج البتول ، ولسان الصدق ومقيم الحجة .

يا زين المجاهدين ، وحبل الله المتين والصراط المستقيم .

يا أول الأوصياء ، وأبا الأئمة الأطهار ، والعروة الوثقى .

يا أمير المؤمنين حقاً ، وحجة الله على خلقه صدقاً .

يا مبين المشكلات ، وفلك النجاة ، وباب مدينة العلم .

أُقدم هذه الصفحات .

ـ كلمة التمهيد ـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمدلله رب العالمين ، المبدىء المُعيد ، ذي العرش المجيد ، العالِم بما كان وما يكون ، مالك الدنيا والآخرة ، عزيزٌ ذلَّ لعزته جميع خلقه ذي الجلال والإكرام .

وصلى الله على رسوله محمد في الأولين ، وصلى الله على رسوله الأمين في الآخرين ، وصلى الله على حبيبه المصطفى في الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

والسلام على آل محمد ، مصابيح الحكمة ، وموالي النعمة ، ومعادن العصمة .

اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي لساني نوراً ، حتى أسلك سبيل الحق ؛ اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري ، وأسألك اللهم نعمة رضاك ، وأتقرب إليك .

السلام على صفوة الله ووليه وأخ رسوله ، وحجته على خلقه ، أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، وعمود الدين ، وباب

حكمة رب العالمين ؛ إمام الهدى ، وعلم التقى ، أبي الحسن والحسين ، الناصح لأمة نبيه ، الداعي إلى شريعته .

وبعد !! لقد شغلت مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه أفضل السلام ، وأزكى التحيات ، كثيراً من الكتّاب والأدباء والمفكرين ؛ فدونوا مناقبه ، وجمعوا فضائله ، فكانت معيناً فياضاً ، يتدفق العلم من جوانبه ، وتنساب الحكمة من نواحيه .

كان علي بن أبي طالب (ع) غلاماً ، لما أظهر ابن عمه محمد (ص) الدعوة ، فآمن به وشب على حبه ، وتأصلت عقائد الإسلام في قلبه ، فكان أشدَّ القوم تشبثاً بدينه ، وأقواهم حماسة في الدفاع عن حوزته ، وأسرعهم إلى التفاني في إعلاء مناره ، ونشره في القبائل ، وأثقلهم يداً على أعدائه من مبتدعين وخوارج .

لقد بلغ علي (ع) مكانة رفيعة في الإسلام ، ودرجة عالية في الإيمان ؛ ففي مواقع القتال كان بطلاً صنديداً ، وقِرماً عنيداً ، وخصماً مُظفراً ، لم يرجع قط منهزماً من نزال ؛ وكان في محافل الأمة خطيباً بليغاً ، كانت آراؤه آيات باهرات ، وأقواله حكم معجزات ، وما اتصل إلينا من خطبه وجوامع كلمه ، وُسِم بطابع البلاغة الرائعة والحكمة الواسعة ، يشهد له بُعد الغور ، ورسوخ القدم في الكمالات الإنسانية ، ويحله محلاً سامياً في مجالس أرباب العلوم السنية .

لقد امتاز علي «ع» ، بقرابته للنبي «ص» ، ومقامه في

المسلمين وزهده في حطام الدنيا ، مزدرياً للأموال المتدفقة ، على بيت المال في أيامه ؛ فهو خشن المطعم والملبس ، لا يستحي أن يرقع قميصه ، وأن يخصف نعله بيده . لا تأخذه في إقامة شعائر الدين لومة لائم ، فلا يعرف للدهاء والمحاباة معنى ؛ عمل إبَّان خلافته على تقويم اعوجاج القوم ، فكان يحملهم على الزهد في الدنيا ، ويُعيدهم إلى خشونة العيش ، لأن ما عند الله خير وأبقى ، فاستعظموا ذلك وأنكروه ، وامتنعوا عليه ؛ سيما وقد اعتادوا رخاء العيش ، في الأيام التي سبقت ، فاستكثروا من الأموال على اختلاف أنواعها ، فكان له من ذلك متاعب ومصاعب ، نغصت عيشه في خلافته .

وزاد الأمور تعقيداً وارتباكاً ، وقوف معاوية بن أبي سفيان له بالمرصاد ، طامعاً بالخلافة ، بلا حق ولا مزية ، سوى مكره ودهائه ونهمه ، فما كاد يبلغه مقتل عثمان (رض) ، حتى قبض على ناحية الفرصة ، وهبَّ لبلوغ الأمنية ، فدعا بالمطالبة بدم عثمان (رض) ، وأبى مبايعة علي (ع) ، وبث روح العداء له في أهل الشام ، فاصطنع الأحزاب ببذل الأموال الفاحشة ، وحشد الجيوش ونازل علياً ، فكانت معركة صفين ، وكادت أن تنتهي بفوز جيش علي ، فدعا معاوية بإشارة من عمرو بن العاص ، إلى رفع المصاحف والاحتكام إلى كتاب الله ، وكان التحكيم ، واضطر علياً أصحابُهُ أن يحكِّم أبا موسى الأشعري ، الذي كان خلواً من المكر ، وجاهلاً ملاوي السياسة ، وحكَّم أصحاب معاوية عمرو بن العاص ، الداهية الدهياء ، وأبعد مخلوقٍ عن صدق المقال وحفظ الذمام ؛

فخطب أبو موسى وخلع علياً ، ثم قام عمرو ، فقرر خلع علي ، وأثبت الخلافة لمعاوية ، فتضعضع حزب علي ، وقويت شوكة معاوية ، واندلعت ألسنة الشرِّ تلتهم الفضائل ، وتحصد أعوان الحق ، وتفرق المسلمون إلى شيعٍ وأحزاب ، ينافر بعضها بعضاً ، لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم .

ولقد تناولت في هذا الكتاب ، أهم الأحداث التي جادت بها الروايات ، فنقدتها وتبصرت في أمرها ، وقارنت بينها ، محاولاً جهدي أن أخرجها حقيقة جلية واضحة ، ولستُ أبرىء نفسي ولا أزكيها ، فالله يزكي من يشاء ، ولكني اعترف بالتقصير عن الغاية ، وأعجز عن بلوغ النهاية ، فكيف بي ، وما عساي أن أقول ، واعتذر لسيدي ، ومولاي ، أمير المؤمنين (ع) ، وقد انتسبت إليك أكرم الفضائل ، وأنتهى إليك كل محمد ، فأنت رأس الفضائل ، وأساسها ومعينها ، وقد غرفت من أشرف مناهل العلوم ، ونهلت من أقدس الينابيع ، فكنت أستاذ الأساتذة ، والأول في علم الشريعة ، لم يدركك الأولون ، ولن يرى مثلك الآخرون .

وقد بنيت بحثي في هذا الكتاب ، على مقدمةٍ وثلاثة أبواب : فأوجزتُ في المقدمة ما قمت به من أعمال ، وما فصلت وأعددت من تبويب وترتيب ، وتحدثتُ في الباب الأول ، عن حياة الإمام (ع) ونشأته وحركته في الحياة ، وما عبر في حياته عن مقامه في الإسلام ، بأعماله وأفعاله ، ولقد اشتمل هذا الباب ، على أربعة فصول ، فسجلت في الفصل الأول ، الذي أسميته « الزمان والمكان » الجذور الأولى لحياة

ونشأة الإمام (ع) ، فذكرتُ جدَّه عبد المطلب وحفر زمزم ، وصولاً إلى أبيه أبي طالب الذي لعب دوراً رئيسياً في حياته ، وبينت نسب الإمام (ع) ، ثم ذكرتُ في الفصل الثاني « النشأة » التي تتلخص بطفولته مع رسول الله (ص) ، وأوضحتُ مقام آل البيت (ع) ، وبيان عصمتهم ، وما اختصهم الله من الكرامات والفضائل ، ثم عرضتُ في صدق وأمانة ، بعض شمائله وأودعيته ، وأوردت حبه وبغضه ، حيث قلتُ : أنه أول المسلمين ، وله المقام الرفيع في مكارمه وفضائله ، وأول هذه الفضائل ، مبيته في فراش الرسول (ص) .

ثم خصصتُ فصلاً ثالثاً ، ذكرتُ فيه فضائله وعلمه وشجاعته وسخاءه وحلمه ، وعرضتُ لفصاحته وأخلاقه ، وعبادته وقراءته وسياسته ، وكان لزهده في هذا الفصل نصيب موفور من عنايتي ، ثم سرت في منهجي ، فتناولتُ بالبحث سيرته وزواجه ، وتحدثت بإيجاز عن أولاده ، وما ورد في حقه في كتاب الله ؛ وزيادة في توضيح الصورة ، عنيتُ بذكر الأحاديث الواردة في حقه ، على لسان رسول الله (ص) ، والتي اعتبرتُها أتت من مصادر موثوقة ومعتبرة .

ثم أجملتُ في الفصل الرابع ، والذي هو التعبير عن الحياة ، أهمَّ الوقائع والغزوات ، التي كان له نصيب وافر ، في إعلاء شأن المسلمين في ساحتها ، فأوردتها حسب أهميتها ، وتسلسلها التاريخي ، فجعلت الكلام عن وقعة بدر ، ثم غزوة أُحُد ، ثم معركة الخندق ، ثم غزوة خيبر ، انتقلت بعد ذلك

إلى الكلام عن حجة الوداع ، ووفاة رسول الله (ص) ، وما تخللها من أحداث تتصل بشخص الإمام (ع) وكان لقصة السقيفة نصيب وافر من العناية ، ثم الكلام عن أيام الإمام (ع) ، في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة ، انتقلت بعد ذلك إلى حرب الجمل ووقعة صفين ، فعرضتُ لذكر التحكيم ونتائجه ، حيث استؤنف الكلام عن ظهور الخوارج ووقعة النهروان ، حيثّ أشرف الفصل على النهاية ، فختمته بذكر مقتل الإمام (ع)

وفي الباب الثاني ، رسمت صور الحياة ، في خمسة فصول ، ذكرتُ في الأول مضامين «نهج البلاغة» ، والمبادىء الاسلامية ، وبينت معززاً بالشواهد والأدلة ، أن كلامه أعلى طبقات الفصاحة ، بعد القرآن والحديث ؛ ثم جعلتُ الكلام في الفصل الثاني ، عن الخطب المنسوبة إليه (ع) ؛ ثم أوردتُ في الفصل الثالث بعض الوصايا التي نُسبت إليه . أما الفصل الرابع فتحدثت فيه عن الرسائل ، انتقل الكلام بعدها إلى ذكر المواعظ ؛ وفي الفصل الخامس عرضتُ ما يُنسب للإمام من مواعظ وحِكَم .

ثم ختمتُ الكتاب بحكمٍ عام وخاتمة ، فأوجزتُ بعض المباحث التي وردت في الكتاب ، بعد أن عززتها ـ حيث وردت ـ بالشواهد ، وبذلك محاولاً ما أمكنني ، عرض الصور والمواقف بكل صدق وتجرد وأمانة .

والله سبحانه الموفق لما فيه الخير والرشاد . **المؤلف**

الـــبـــاب الاول

الحيـــــاة

الفصل الأول :

الزمان والمكان

١ ـ عبد المطلب وحفر زمزم .
٢ ـ أبو طالب .
٣ ـ نسب أمير المؤمنين .

١ ـ عبد المطلب وحفر زمزم

تولى عبد المطلب بن هاشم ، الرفادة والسقاية ، بعد المطلب بن عبد مناف ، فلم يزل يطعم الحاج ، ويسقي الحجيج ، في حياض من أدم مكة .

كان يجمع الماء ، في الحياض لسقاية الحجيج ، في مكة وعرفة ، ولما أنعم الله عليه بزمزم ، ترك السقي في الحياض ، وسقاهم منها بعد حفرها .

فلقد رأى عبد المطلب في المنام ، هاتفاً يقول له في الليلة الأولى : يا عبد المطلب احفر طيبة !! .

انتبه عبد المطلب من نومه ، ليسأل القائل : وما طيبة ؟! وإذ به لا يرى أحداً ؛ فأخذ منه هذا الحلم مأخذاً ، حيث منعه النوم ، وأرَّق مضجعه .

ولما كان الغد ، أتاه ليقول له : يا عبد المطلب ، احفر برَّة ! .

ذُعر عبد المطلب ، وهجر فراشه ، ليُنادي القائل : وما برَّه ؟! فلا من مُجيب ! سهر طيلة ليله ، فاستيقظت زوجته

أم الحارث ، وسألته عما يؤرقه ؟! فأخبرها بما جرى له ، حيث هدّأت من روعه ، وطيّبت خاطره قائلةً : إنما هي أضغاث أحلام .

لقد انقطع عبد المطلب عن قومه ، وهجر النادي ، وافتقدته عشيرته ، فاعتزل الناس ، يفكر في هذا الأمر ، وما عساه يكون ؟!

وفي الليلة الثالثة ، عاوده الهاتف قائلاً : يا عبد المطلب احفر المضنونة .

فتح عبد المطلب عينه وقلبه ، وجمع جوارحه ليعلم اليقين ، في هذا الشأن قائلاً : وما المضنونة ؟؟!

ولم يكن شأن عبد المطلب مع الهاتف بأوفر حظاً من ليلتيه السابقتين ، فلا جواب ولا مُجيب . عندها تيقن عبد المطلب ، أن في الأمر سراً لم يظهر ، وليس أضغاث أحلام ، كما قالت له أم الحارث ، وسوف يكون لهذه الرؤيا ، شأن عظيم ، فأمضى سحابة ليله يفكر ، ومضى بياض يومه يتأمل .

وجاءه في الليلة الرابعة ، ليثبت فؤاده في رؤياه قائلاً : « يا عبد المطلب احفر زمزم ، فإنها لا تنزح ولا تذم ، وتكفي لسقاية الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، وهي شرب لك ولولدك من بعدك[1] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، المجلد الأول ، ص ٨٣ ط بيروت .

عندها تنفس عبد المطلب الصعداء ، وطابت نفسه ، وتهللت أسارير وجهه ، بما أولاه الله من نِعم .

ولما كان الغد ، توجه نحو الكعبة ، يعاين المكان ، الذي وصفه له الهاتف في رؤياه ، وإذا به أمام غراب أعصم ، لا يبرح قائماً عند الذبائح ، بين الفرث والدم ، على مقربة من الكعبة الشريفة .

رجع عبد المطلب إلى بيته ، واستدعى ولده الوحيد حارث ، طالباً إليه أن يحمل أدوات الحفر ، ويتبعه إلى زمزم ، حيث يباشر البحث عن الماء فيها .

قام عبد المطلب بحفر زمزم ، فجاءته قريش قائلةً له : ما هذا الصنع ؟! إنّا لم نكن نراك بالجهل ، لِمَ تحفر في مسجدنا ؟

قال : إني لحافر هذه البئر ، ومجاهد من صدني عنها ؛ فطفق يحفر هو وابنه الحارث ، وليس له يومئذٍ ولد غيره ، فيسفه عليهما الناس من قريش ، فينازعونهما ويقاتلونهما ، وتناهى عنه ناس من قريش ، لما يعلمون من نسبه ، وصدقه واجتهاده ، في دينهم يومئذٍ ، حتى إذا أتعبه الحفر ، ظهرت أسلحة ومعدات حرب ذهبية ، قيل : « وكانت جرهم حين أحسوا بالخروج من مكة ، دفنوا غزالين وسبعة أسياف قلعية ، وخمسة أدرع سوابغ استخرجها عبد المطلب »[1] . وعندما علمت قريش بالأمر ، نازعته وهمَّت بمقاتلته وقالت : يا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٥ .

عبد المطلب ، أجدنا مما وجدت ؛ وكان بها زاهداً ، فهو يطلب الماء ، لقد قذف بها جانباً وهو يقول :

لقد وعدني ربي بالماء ، ولا حاجة لي بهذا .

واحتكم الجميع للآلهة في شأنها ، فكانت من نصيب الكعبة ، حيث عُلقت في أستارها . ثم حفر حتى أدرك الماء ، فصاح بأعلى صوته : الله أكبر .

فتراكض القوم ، ليقفوا على حقيقة ما أصابه ، وإذا بالماء يتدفق بين يديه ، ينثر حباته في الهواء ، ويلقي بها نحو السماء ؛ فنازعته قريش الأمر ، وطلبت إليه إشراكها فيه ، فأبى قائلاً : والله لا أُسقيكم منها ، شربة ماء واحد ، حتى أسقي حجاج بيت الله وزائري الكعبة ، فاجعلوا بيننا وبينكم من شئتم ، أحاكمكم إليه . لقد استضعفتموني فنازعتموني أمراً اختصني الله به . والله لئن أكمل الله لي عشرة ذكورٍ حتى أراهم لأذبحنَّ أحدهم[1] .

قالوا : نحتكم إلى كاهنة بني سعد هذيم ، وكانت بمعان من أشراف الشام ؛ فخرجوا إليها ، وخرج مع عبد المطلب ، عشرون رجلاً من بني عبد مناف ، وخرجت قريش بعشرين رجلاً من قبائلها ، وفي الطريق فني ماء القوم جميعاً ، بما فيهم ماء عبد المطلب وجماعته ، وأصاب الجميع عطش شديد ،

---

(١) المصدر السابق . وابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، مجلد ٣ ، ص ٤٦٨ دار المتنبي .

أقعدهم عن المسير ، وتشاوروا في أمرهم ، وكان الرأي : الموت لا مفر منه ، وليحفر كل رجل حفرة لنفسه ، وكلما مات رجل ، دفنه أصحابه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً ، فيموت ضيعة ، وهذا أيسر الأمور . ولم يرق هذا الرأي لعبد المطلب فقال : يا قوم ، تباً لكم ولما تصنعون ، وإنَّ بنا لبقية من حياة ، ونستطيع التحرك ، والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا لعجز ، ألا نضرب في الأرض ، فعسى الله أن يرزقنا ماء .

فارتحلوا ، وركب عبد المطلب راحلته ، ولما استنهضها ، انفجرت تحت خفها عين ماء عذب ، كبرَّ عندها عبد المطلب ، وكبرَّ معه أصحابه ، ودعا القوم إلى الماء ، فشربوا واستسقوا ، ثم قالوا : يا عبد المطلب لقد قضي لك علينا ، فارجع بنا ، فإن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة ، هو الذي سقاك زمزم ، فوالله لا نخاصمك فيها أبداً .

ثم عاد القوم ، وخلُّوا بينه وبين زمزم[1] .

عاد عبد المطلب ، إلى زمزم يصلح شأنها ، فحفرها في القرار ، ثم بحرها حتى لا تنزف ، ثم بنى عليها حوضاً ، وطفق هو وابنه ، ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب الحاج ، ويكسره قوم حسدة له من قريش بالليل . فيصلحه عبد المطلب حين يصبح ؛ فلما أكثروا فساده ، دعا عبد المطلب

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٤ . المصدر السابق ، ص ٤٦٨ .

ربه ، فأري فقيل له؛قل اللهم إني لا أحلها لمغتسل ، وهي لشارب حل وبل ثم كفيتهم .

فقام عبد المطلب ، حين اختلف قريش في المسجد ، فنادى بالذي أري ، ثم انصرف ؛ فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد من قريش ، إلا رُمي في جسده بداء ، حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته .

انصرف عبد المطلب إلى شؤونه الخاصة ، فأولى نذره عناية فائقة ، وتزوج من النساء ما ولدن له عشرة أولاد ذكور هم : الحارث ، والزبير ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وحمزة ، وأبو لهب ، والغيداق ، والمقدم ، وضرار ، والعباس ؛ عندها جمع أولاده العشرة ، وأخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء ، فوافقوه على أمره قائلين : أوفِ بنذرك وافعل ما شئت .

فقال عبد المطلب : اللهم إني كنتُ نذرتُ لك نحر أحدهم، وإني أقرع بينهم ، فأصب بذلك من شئت . فأجال الأقداح بينهم ، فخرج قدح عبدالله ، أبي رسول الله (ص) ، وكان أحب ولده إليه ، لا بل من أحب أولاده إلى قومه وعشيرته ؛ فأخذ بيده يقوده إلى المذبح ، فضجت بنات عبد المطلب ، وعمَّ الخبر مكة كلها ، وضج عبد المطلب لهذا الأمر ومنعه أقاربه من وفاء نذره ، بذبح ولده عبدالله ، وأشاروا عليه بأن يضرب الأقداح على ولده ، وعلى عشرٍ من الإبل ، حيث كانت الدية يومئذٍ عشراً من الإبل ، فضرب فخرج القدح على عبد الله ، فجعل يزيد عشراً عشراً ، حتى

أكملت المئة ، فضرب القداح ، فخرج القدح على الإبل ، فكبَّر عبد المطلب ، وكبرَّ الناس معه ، ثم نحر الإبل بين الصفا والمروة .

ولقد أرادت حكمة الله جل شأنه ، أن يتزوج عبدالله آمنة بنت وهب ، أجمل فتيات بني زهرة ، وأشرفهن موضعاً ، وأعمقهن إيماناً ، بأجمل شباب قريش ، وأكرمهم نسباً ، وأعظمهم طهراً وتعففاً ، وتم هذا الزواج ليكون ثمرته ، خاتم الأنبياء محمد (ص) .

ولم يذكر المؤرخون المدة التي قضاها عبد الله وآمنة ، ولكنها على أي حال ، كانت قصيرة وتُعد بالأيام .

لقد كانت قافلة تجارية مسافرة إلى الشام ، وكان عبد المطلب يعمل في هذه التجارة ، فرأى أن ينوب عنه ابنه عبد الله ، في تلك السفرة ، وشاء الله للقافلة أن تتأخر ، ويتاخر معها عبد الله ، ثم عادت القافلة ولكن عبد الله لم يعد معها .

مرض عبد الله قبيل وصول القافلة إلى المدينة المنورة ، واشتد عليه مرضه ، فنزل في دار أحد أخواله ، من بني مخزوم ، وما لبث أن توفي في مرضه وكان له من العمر عشرون عاماً ، وكانت آمنة في السادسة عشرة من عمرها[1] .

لقد مات عبد الله بن عبد المطلب ، والد رسول الله (ص)

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، المجلد الأول ص ٩٩ ط بيروت .

وكان محمد (ص) جنينا في بطن أمه ، فنشأ يتيماً بدليل شهادة القرآن : ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾[1] .

حزن عبد المطلب لفقد أحب أبنائه إليه ، وحزن بنو قومه عليه ، لكن هذه الأحزان جميعها كانت ضئيلة ، إذا قيست بأحزان العروس الشابة الجميلة ، التي لم يبقَ لها من عزاء ، سوى تلك الذكرى المقدسة العطرة ، التي ما زالت تسكن أحشاءها .

وقد رُوي أن عبد المطلب ، عندما أسنَّ ذهب بصره ، وبينما كان يطوف بالبيت ازدحمه رجل فقال :

ـ من هذا ؟! .

قيل له . رجل من بني بكر .

قال : فما منعه أن ينكب عني ؟ وقد رآني لا أستطيع أن أنكب عنه ! .

ثم قال : لا بد لي من العصا ؛ فإن اتخذتها طويلة شقت عليَّ ، وإن اتخذتها قصيرة قويت عليها ، ولكن ينحدب لها ظهري ، والحدبة ذل .

فقال بنوه ، وقد توالوا عشرة : أو غير ذلك نوافيك كل يوم رجل منا ، تتوكأ عليه فتطوف في حوائجك .

---

(١) سورة الضحى الآية ٦ .

وهكذا ، فقد كانت مكارم عبد المطلب أكثر من أن يحاط بها . كان سيد قريش غير مدافع ، نفساً وأباً وبيتاً وجمالاً وبهاءً وكمالاً وفعالاً .

٢ ـ أبو طالب

أبو طالب بن عبد المطلب واسمه عبد مناف ، وهو كافل رسول الله (ص) ، وحاميه من قريش وناصره ، والرفيق به والشفيق عليه ، ووصي عبد المطلب فيه .

هو سيد بني هاشم في زمانه ، ولم يكن أحد من قريش يسود في الجاهلية بغير المال ، إلا أبو طالب ، وعتبة بن ربيعة .

كانت السقاية في الجاهلية بيد أبي طالب ، ثم سلمها إلى أخيه العباس بن عبد المطلب ؛ كان أبو طالب يحضر أيام الفجَّار ، ويحضر معه النبي (ص) وهو غلام ، فإذا جاء أبو طالب هُزمت قيس ، وإذا لم يجيء هُزمت كنانة ، فقالوا لأبي طالب : لا أبا لك لا تغب عنا ففعل . وكان قد أوكل عبد المطلب ، أمر حفيده اليتيم محمد (ص) إلى أشرف أولاده وأحبهم إليه ، أبي طالب ، وعهد إليه حراسة النبي العظيم ، وكفالته بكل ما لديه من حولٍ وطول ؛ وكان عبد المطلب قد وصل حفيده العزيز الغالي محمد (ص) بولده العطوف الرؤوف الذي حفظه ، وحرسه وفداه ودافع عنه وعن مواقفه

بكل عزيزٍ وثمين .

إن اليتيم الذي لم يشم رائحة أبيه ، ولم يذق طعم شفقة الأمومة ، كان من أبي طالب بمنزلة الرأس من الجسد ، فنصره بلسانه ويده وماله وحاله .

لقد ارتقى أبو طالب إلى أسمى مراتب الكمال ، والرفعة والمجد ، فهو شيخ قريش ، وزعيم العرب وسيد البطحاء ، نشأ في بناءٍ كريم ، وتربى في بيتٍ كريم رفيع ، وتلقى المعارف من مدرسة الكرام البررة ، فانتهج المُثل العليا ، ونهل من نبع المكارم الفياض ، فهو صورة واضحة المعالم ، مشرقة الأنوار ، فيه عظمة عبد المطلب ، وبطولة هاشم ، وحكمة قصي . لقد اختاره الله ليكون كفيل أشرف الخلق ، وحبيب الحق ، وصورة الإنسانية الكاملة ، والفضيلة المثلى محمد (ص) ، فكان بذلك نصير السماء على الأرض .

ولما أمر الله رسوله محمد (ص) ، أن ينشر الدعوة ، وأجمعت قريش على عداوته وخلافه ، حدب عليه عمه أبو طالب ، فمنعهم منه ، وقام دونه ، حتى مضى يظهر الأمر ، لا يرده عنه شيء . وعندما رأت قريش ، محامات أبي طالب عنه ، وقيامه دونه ، وامتناعه من أن يسلمه ، مشى إليه رجال من أشراف قريش ، منهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو البختري بن هشام ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، وأمثالهم من رؤساء قريش ، فقالوا :

يا أبا طالب ، إن ابن أخيك ، قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلل آراءنا ؛ فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه .

قال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ؛ ومضى رسول الله (ص) ، على ما هو عليه يظهر دين الله ، ويدعو إليه .

ثم اشتدت عداوة قريش للرسول (ص) ، وأكثرت ذكره بينها ، وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه ؛ فمشوا إلى أبي طالب مرة ثانية ؛ فقالوا :

ــ يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك ، فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، فإما أن تكفه عنا ، أو ننازله وإياك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم انصرفوا .

فعظم على أبي طالب ، فراق قومه وعداوتهم ، ولم تطب نفسه بإسلام ابن أخيه لهم ، ولا خذلانه ، فقال له : يابن أخي ، إن القوم قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، فابق عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيقه .

عندها ظن رسول الله (ص) ، أن قد بدا لعمه فيه بدّاً ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته ، والقيام دونه ؛ فقال قولته المشهورة ، والمتواترة في كتب السيرة والأحاديث :

« يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ثم استعبر باكياً وقام ؛ فلما ولىَّ ، ناداه أبو طالب : اقبل يا بن أخي . فأقبل راجعاً ، فقال له : اذهب يا بن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أُسلمك لشيءٍ أبداً[1] .

فلما عرفت قريش ، أنا أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله (ص) ، وإسلامه إليهم ، ورأوا إجماعه على مفارقتهم وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان أجمل فتى في قريش ، فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أبهى فتى في قريش وأجمله ، فخذه إليك ، فاتخذه ولداً ، فهو لك ، وأسلم لنا ابن أخيك ، الذي قد خالف دينك ، ودين آبائك ، وخرق جماعة قومك ، لنقتله ، فإنما هو رجل برجل .

فقال أبو طالب : والله ما أنصفتموني ، تعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأُعطيكم ابني تقتلونه ، هذا والله ما لا يكون أبداً .

فقال له المطعم بن عدي بن نوفل ، وكان له صديقاً مصافياً : والله يا أبا طالب ، ما أراك تريد أن تقبل من قومك

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ١ ص ٢٦٦ .

شيئاً ، لعمري قد جهدوا في التخلص مما تكره ، وأراك لا تنصفهم .

فقال أبو طالب : والله ما أنصفوني ولا أنصفتني ، ولكنك قد أجمعت على خذلاني ، ومظاهرة القوم عليَّ ، فاصنع ما بدا لك .

فعند ذلك تنابذ القوم ، وصارت الأحقاد ، ونادى بعضهم بعضاً ، وتذامروا بينهم ، على من في القبائل من المسلمين ، الذين اتبعوا محمداً (ص) ، فوثبت كل قبيلة على من فيها منهم ، يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله منهم ، بعمه أبي طالب ؛ وقام في بني هاشم ، وبني عبد المطلب ، حين رأى قريشاً ، لصُنع ما تصنع ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، من منع رسول الله (ص) ، والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه وأجابوه ، إلى ما دعاهم إليه ، من الدفاع عن رسول الله (ص) ، إلا ما كان من أبي لهبٍ ، فإنه لم يجتمع معهم على ذلك[1] .

وهكذا كان أبو طالب ، زعيماً مهاباً وسيداً مطاعاً ، وقد ارتفع بمواقفه في نصرة الرسول (ص) ، إلى أعلى مراتب الفضل والإيمان ، والقدرة الكاملة ، والكفاءة الرفيعة ، فبذل في هذا السبيل ، أغلى ما لديه فى الوجود ، نفسه وبنيه ، وأهله وذويه .

---

(١) القبيسي : الشيخ محمد حسن ، ماذا في التاريخ ج ١ ص ٢٢٩ ط ٧٣ .

٣ ـ نسب أمير المؤمنين (ع)

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب ، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب ، واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي ، الغالب عليه من الكنية عليه السلام أبو الحسن ، وكان ابنه الحسن(ع) يدعوه في حياة رسول الله أبا الحسين ، ويدعوه الحسين (ع) أبا الحسن ، ويدعوان رسول الله (ص) أباهما ؛ وكانت فاطمة بنت أسد ، أمه رحمة الله عليها ، لما ولّدته سمته حيدرة ، فغيّر أبو طالب اسمه ، وسمّاه علياً ؛ وقيل إن ذلك اسم كانت قريش تُسميه به .

والقول الأول أصح ، ويدل عليه خبره يوم خيبر ، وقد برز إليه مرحب اليهودي وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرّب
إذ الحروب أقبلت تلهب

فبرز إليه علي (ع) وهو يقول :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة
كليث غاب في العرين قسورة
أكيلكم بالصاع كيل السندرة

وذكر سهل بن سعد الساعدي ، أن رسول الله (ص) كنّاه أبا تراب ، وكانت من أحب ما يُكنى به إليه ؛ وسبب التسمية ، أن الرسول (ص) وجده نائماً في تراب ، قد سقط عنه رداؤه ، وأصاب التراب جسده ، فجاء حتى جلس عند رأسه ، وأيقظه وجعل يمسح التراب ، عن ظهره ويقول له : إنما أنت أبو تراب ؛ وكان الإمام (ع) يفرح إذا دُعي بها ، فدعت بنو أُمية خطباءها ، أن يسبوه بها على المنابر ، وجعلوها نقيصة له ، ووصمة عليه ، فكأنما كسوه بها الحلى والحلل[1] . وقد سمّته أمه حيدرة وذلك باسم أبيها ، أسد بن هاشم ، والحيدرة تعني الأسد ، لكن أباه غيّر اسمه وسماه علياً ، لشرفه العالي ، بمكان مولده ، ولشرفه العالي بأصله الرفيع[2] ؛ ودُعي بعد وفاة رسول الله (ص) بوصي رسول الله (ص) ، لوصايته إليه بما أراده .

أما أمه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، أول هاشمية ولدت لهاشمي ؛ كان علي (ع) أصغر بنيها ، وجعفر أسن منه بعشر سنين ، وعقيل أسن منه بعشر

---

(١) الأصفهاني : أبو الفرج ، مقاتل الطالبيين ص ١٦ ط ٩٦١
(٢) عبد المقصود : عبد الفتاح ، الإمام علي بن أبي طالب ج ١ ط العرفان .

سنين وطالب أسن من عقيل بعشر سنين ، وفاطمة بنت أسد أمهم جميعاً . وقد أسلمت فاطمة بنت أسد ، بعد عشرٍ من المسلمين ، فكانت الحادية عشرة ، وكان رسول الله (ص) يكرمها ويعظمها ، ويدعوها (أُمي) ، وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة ، فقبل وصيتها ، وصلى عليها ، ونزل في لحدها ، واضطجع معها فيه ، بعد أن ألبسها قميصه ؛ فقال له أصحابه : إنّا ما رأيناك ، صنعت يا رسول الله ، بأحدٍ ما صنعت بها ! .

فقال (ص) : « إنه لم يكن أحد ، بعد أبي طالب ، أبرَّ بي منها ، إنما ألبستها قميصي ، لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها ضغطة القبر » .

وفاطمة أول امرأة بايعت رسول الله (ص) من النساء .

وقد اختُلف في مولد علي (ع) أين كان ، وتعددت الروايات ، ولكن المرجح منها ، أنه وُلد في الكعبة ، وهو أول إنسان وُلد في بيت الله الحرام ؛ وقد أكثر الشعراء من الكلام في هذه الولادة ، فقال العمري من قصيدة له :

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا
ببطن مكة وسط البيت إذ وُضعا

وقال شاعرٌ آخر :

ولدته في حرم الإله وأمنه
والبيت حيث فناؤه والمسجد

وكان مولده (ع) بعد مولد رسول الله (ص) بثلاثين سنه وقبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقد عاش في صحبة النبي (ص) لم يفارقه ساعة من ساعات عمره، بدليل قوله (ع): «كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه»[1].

وهكذا، فقد ترعرع الإمام علي (ع) على يد المربي لعظيم رسول الله (ص)، واكتملت له صفاته، فكانت مرآة صافية، تعكس أضواء النبوة، ونور الإسلام؛ وقد تفرد بشرف ارتباط وجوده بوجود الرسول الأعظم (ص)، إذ حدب عليه في صغره، وضمه إلى نفسه، ووجه عقله الصافي وطبيعته النيرة، إلى ذات الحق، فأرواه من ينبوع علمه، وإيمانه وحكمته وطهره، فكان باب مدينة العلم، على لسان رسول الله (ص)[2].

وقد استشهد علي بن أبي طالب (ع)، يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ٦٠ هـ، بينما كان في حال السجود أثناء صلاة الفجر، ضربه ابن ملجم الخارجي، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وصلى عليه ولده الحسن (ع)، ودفنه بالكوفة في قصر الإمارة، عند المسجد الجامع، وغيب قبره، ودامت خلافته الظاهرية، أربع سنين

---

(١) المهاجر: عبد الحميد، اعلموا أنّي فاطمة، المجلد الأول ص ٢٨٢ ط ١.

(٢) عبد المقصود: عبد الفتاح، الأمام علي بن أبي طالب ج ١ ص ٣٥ ط العرفان.

وتسعة أشهرٍ ويوم واحد ، أما خلافته الواقعية فثلاثون سنة ، كان ممنوعاً من التصرف في الأحكام ، مستعملاً للتقية والمدارة ، إلى أن صار الحكم إلى أهله ، ووقع في محله ، فجلس على سرير الخلافة ، ممتحناً بجهاد أعداء الدين ، مضطهداً بفتن الضالين ، إلى أن قضى نحبه ، ولقي ربه .

الفصل الثاني :

النشـــأة

١ ـ طفولته مع الرسول (ص) .
٢ ـ أهل بيت الرسول (ص) .
٣ ـ بيان العصمة .
٤ ـ بعض شمائله وأدعيته .
٥ ـ حبه وبغضه .
٦ ـ أول المسلمين .
٧ ـ مبيته في فراش الرسول (ص) .

١ ـ طفولته مع الرسول (ص)

لقد روي أن أهل مكة أُصيبوا بأزمة اقتصادية شديدة ، وكانت مقدرة أبي طالب على الإنفاق ضعيفة ، فاقترح الرسول (ص) على عمه العباس ، أن يخففا عن أبي طالب ، فيأخذا من ولده اثنين ، وأجابهما أبو طالب إلى هذا الطلب ، فأخذ العباس جعفرا ، وأخذ النبي علياً ، حيث بقي عليٌّ (ع) مع الرسول (ص) إلى يوم مبعثه[١] .

ويبدو أن رسول الله (ص) ، قد اغتنم هذه الفرصة ، ليقدِّم لعلي الغذاء الروحي والغذاء الجسدي ، كي يعده للمستقبل العظيم الذي ينتظره ؛ ومما لا ريب فيه أن الرسول (ص) كان ينظر بنور الله ، فيرى في نفس علي (ع) الكنز الثمين ، فأراد أن يستخرجه ويطوره ؛ ولا شك أن علاقة علي (ع) مع رسول الله (ص) لم تكن وليدة صدفة ؛ لقد قال له (ص) يوماً : « يا علي ! الناس من شجرٍ شتى وأنا

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٧٦ بسنده عن مجاهد . وابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٤٦ ط الحلبي مصر ٩٥٥ .

وأنت من شجرةٍ واحدة ، ثم تلا (ص) قوله تعالى : ﴿ . . . **وجناتٍ من أعنابٍ وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماءٍ واحد . . .** ﴾[1] .

ويبدو أن رسول الله (ص) كان يعني أن نفس علي (ع) ، تتجانس مع نفسه (ص) ، وأنها أقرب النفوس إلى نفسه بالصفات والكمال ، وأن علياً (ع) يرتبط مع الرسول (ص) ارتباط شجرتين متلاصقتين نَمَتا من أصلٍ واحد .

وقد عبر عن ذلك الإمام (ع) حين قال : « . . . وأنا من رسول الله (ص) كالصنو من الصنو ، والذراع من العضد »[2] .

وكان رسول الله (ص) يحب علياً (ع) حباً شديداً ، يفوق حب الوالد لولده ، حيث يتحدث علي (ع) عن ذلك في الخطبة القاصعة[3] فيقول : « وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد . يضمني إلى صدره ، ويكنفني إلى فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه » .

---

(١) الحاكم : محمد بن عبيد الله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٢٤١ . وسورة الرعد الآية ٤ .
(٢) عبده : الإمام محمد ، نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٣ المكتبة الأهلية .
(٣) ذاته ، ج ٢ ص ١٥٧ .

لذا بدأت حياة علي (ع) مع أولى خطوات الإسلام، تحف بها أخطر الأحداث، فاحتمل نصيبه من عبء النبوة، الملقاة على ابن عمه المختار الأمين، فعاشر أطهر الخلق، سيد المرسلين، الذي خصه الله بوحيه ورسالته.

كان علي (ع) مثلاً للرجولة الكاملة؛ فكان للرسول (ص) في صباه القريب المفتدي، وفي شبابه الصديق المقتدى، وبين صباه وشبابه، كان ملتزماً لأسمى غايات الكمال، في الفعال والخلال؛ تمر به الأيام لا يتزود فيها بسوى تمراتٍ جافة، تقيه جوع يومه، وتعينه على أمر نفسه، حتى كانت دعوة محمد (ص) فقبلها بفيضٍ من التقديس والتقدير.

إن محمداً (ص) صادق وغير متهم، فقد شادت بصدقه العرب جمعاء، حتى أصبح يُعرف بـ« الأمين »؛ إذا سارت همسات القوم دونه إكباراً وإعجاباً. صدَّق محمداً وإن لم يكن يتجاوز حلمه إلا قليلاً، ولم يولِ وجهه شطر مقدسات آبائه، لم يدرِ أكان هذا إلهاماً من الله، أم أنَّ شخصية محمد (ص) جرت فيه مجرى الدم، فكان من أتباعه، وأول المصدقين له.

كان يُقلد محمداً بجميع حركاته وسكناته، حتى لأصبح من فرط تعلقه به، واتخاذه قدوة، يصوره أصدق التصوير، في الكثير من الخصال والفعال، تضيءُ بسمتُه وجهَه، ويسير على خطى الرسول (ص) في جميع أفعاله.

٢ ـ أهل بيت الرسول (ص)

حديث الكساء : في كتاب العوالم بسندٍ معتبر عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ، عليها وعلى أبيها أفضل الصلاة والسلام . قال : سمعت فاطمة (ع) أنها قالت :

« دخل عليَّ أبي رسول الله (ص) في بعض الأيام ، فقال : السلام عليكِ يا فاطمة ؛ فقلت : وعليك السلام ؛ فقال : إني لأجد في بدني ضعفاً . . . !

فقلت له : أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف .

فقال : يا فاطمة ، إيتيني بالكساء اليماني فغطيني به .

قالت فاطمة : فأتيته بالكساء اليماني فغطيته به ، وصرت أنظر إليه ، وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله .

قالت فاطمة (ع) : فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن (ع) قد أقبل وقال : السلام عليك يا أماه .

فقلت : وعليك السلام يا قرة عيني . وثمرة فؤادي .

فقال لي : يا أماه ، إني أشم عندكِ رائحة طيبة ، كأنها رائحة جدي رسول الله (ص) .

فقلت : نعم يا ولدي ، إن جدك نائم تحت الكساء .

قالت : فأقبل الحسن (ع) نحو الكساء ، وقال : السلام عليك يا جداه ، السلام عليك يا رسول الله ؛ أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء ؟

فقال : وعليك السلام يا ولدي ، وصاحب حوضي ، قد أذنتُ لك ، فدخل معه تحت الكساء .

قالت : فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسين (ع) قد أقبل وقال : السلام عليكِ يا أماه .

فقلتُ : وعليك السلام يا قرَّة عيني وثمرة فؤادي .

فقال لي : يا أماه ، إني أشم عندكِ رائحة طيبة ، كأنها رائحة جدي رسول الله (ص) .

فقلت : نعم يا بني ، إن جدَّك وأخاك نائمين تحت الكساء .

قالت : فدنا الحسين (ع) نحو الكساء ، وقال : السلام عليك يا جداه ، السلام عليك يا من اختاره الله ، أتأذن لي أن أكون معكما تحت الكساء ؟

فقال : وعليك السلام يا ولدي ، وشافع أُمتي ، قد أذنتُ لك ، فدخل معهما تحت الكساء .

قالت فاطمة (ع) : فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن

أبي طالب (ع) وقال : السلام عليكِ يا بنت رسول الله .

فقلت : وعليك السلام يا أبا الحسن ، يا أمير المؤمنين .

فقال : يا فاطمة إني أشم عندكِ رائحة طيبة ، كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله (ص) .

فقلت : نعم ، ها هو مع ولديك تحت الكساء .

فأقبل أمير المؤمنين نحو الكساء وقال : السلام عليك يا رسول الله . أتأذن لي أن أكون معكم تحت هذا الكساء ؟ .

قال (ص) : وعليك السلام يا أخي وخليفتي وصاحب لوائي ، قد أذنتُ لك .

فدخل علي (ع) تحت الكساء .

ثم أتت فاطمة (ع) وقالت : السلام عليك يا أبتاه ، السلام عليك يا رسول الله (ص) ، أتأذن لي أن أدخل معكم تحت الكساء ؟ .

قال لها : وعليكِ السلام يا ابنتي وبضعتي ، قد أذنتُ لكِ .

فدخلت فاطمة (ع) معهم . فلما اكتملوا واجتمعوا جميعاً تحت الكساء ، أخذ رسول الله (ص) بطرفي الكساء ، وأومأ بيده اليمنى إلى السماء وقال :

اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، وحامتي ، لحمهم لحمي ، ودمهم دمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ، ويحرجني ما

يحرجهم ، أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم ، وعدوٌ لمن عاداهم ، ومحبٌ لمن أحبهم ، إنهم مني وأنا منهم ، فاجعل صلواتك وبركاتك ، ورحمتك وغفرانك عليَّ وعليهم ، واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ .

قال (ص) : أنتِ على مكانكِ وأنتِ إلى خير .

فهبط الأمين جبرائيل فقال : السلام عليك يا رسول الله ، العلي الأعلى يُقرئك السلام ، ويخصك بالتحية والإكرام ، وقد أذن لي أن أدخل معكم تحت الكساء ، فهل تأذن لي أنت أن أدخل ؟ .

فقال رسول الله (ص) : « وعليك السلام يا أمين وحي الله ، قد أذنتُ لك » .

فدخل جبرائيل معهم تحت الكساء ، فقال لهم : إن الله عز وجل ، قد أوحى إليكم ، ويقول : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً** ﴾[1] .

فقال علي (ع) : « يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله ؟ .

فقال النبي (ص) : والذي بعثني بالحق نبياً ، وبالرسالة

---

(١) الأحزاب ٣٣ ، وقد رواه الترمذي في صحيحه ج ٥ ص ٣٢٨ رقم الحديث ٣٨٧٥ .

نجياً ، ما ذكر خبرنا هذا ، في محفلٍ من محافل أهل الأرض ، وفيه جمعٌ من شيعتنا ومحبينا ، إلاّ ونزلت عليهم الرحمة ، وحفَّت بهم الملائكة ، واستغفرت لهم ، إلى أن يتفرقوا ؛ وما ذكر خبرنا هذا في محفلٍ من محافل أهل الأرض ، وفيه جمعٌ من شيعتنا ومحبينا ، وفيهم مهموم ، إلا وفرَّج الله همه ، ولا مغموم إلا وكشف الله غمَّه ، ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته .

ولقد قرن الرسول (ص) أهل بيته ، بمحكم كتاب الله ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، وسفن النجاة ، وأمان الأمة ، وباب حط .

وفي الحديث أن رسول الله (ص) نادى : « يا أيها الناس ، إني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[1] .

وقال (ص) : « إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[2] .

ومن الأحاديث التي ذكرت أعضاء أسرة الرسول (ص)

---

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه ج ٥ ص ٣٢٨ ورقم الحديث ٣٨٧٤ .
وشرف الدين : عبد الحسين ، المراجعات ص ٥٠ و ٨٩ ط ٥ .
(٢) رواه الترمذي في صحيحه ج ٥ ص ٣٢٩ رقم الحديث ٣٨٧٦ .

بأسمائهم ، ما رواه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : « . . . ولما نزلت هذه الآية : ﴿ **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم** ﴾ . . . دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : « اللهم هؤلاء أهلي »[1] .

وفي الحديث : « أيها الناس ، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، وقد قدمت إليكم القول ، معذرة إليكم ، ألا إني مخلفٌ فيكم ، كتاب الله عز وجل ، وعترتي أهل بيتي » ثم أخذ بيد علي (ع) فرفعها فقال : « هذا علي مع القرآن ، والقرآن مع علي ، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض »[2] .

وفي الحديث : « ألا إن مثل أهل بيتي فيكم ، مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلَّف عنها غرق . وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة ، في بني إسرائيل ، من دخله غفر له »[3] .

وقال (ص) : « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف »[4] .

إن هذه الأحاديث وأشباهها ، تدل دلالة لا تقبل الشك

---

(١) وقد روى ذلك أيضاً كل من الترمذي والحاكم والبيهقي عن كتاب أمير المؤمنين لمحمد جواد الشري طبع لبنان ص ٤٠ .
(٢) شرف الدين : عبد الحسين ، المراجعات ص ٥٠ ط ٥ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .

أن أهل بيت الرسول (ص) إنما هم الذين تتوفر فيهم الصفات التالية : إنهم عترته ، وإنهم في أعلى درجات التقوى ، وفي أعلى درجات المعرفة الدينية ، وأعلم الناس بمضامين القرآن ، ويوافق بعضهم بعضاً ، كي تكون معرفتهم الدينية معرفة يقينية ، وإلا لافترقوا عن القرآن .

إن هذا الإفتراض يتفق مع الواقع ، لأن علياً (ع) كان مع رسول الله (ص) منذ أيام صغره إلى يوم وفاته ، فكان التلميذ الذكي البارز والأمين الحافظ لجلساته العامة ولخلواته الخاصة ، بقلبٍ مخلص لله في سره وعلانيته ؛ وقد عاش الحسنان معه السنين الطوال ، فكانا الصديقان الطاهران الشبيهان بجدهما وأبيهما .

ومن خطبة للإمام علي (ع) يذكر فيها آل محمد (ص) :

فقال : « . . . هم عيش العلم وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه ، هم دعائم الإسلام ، وولائج الاعتصام ؛ بهم عاد الحق إلى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه من منبته ، وعقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع ورواية ؛ فإن رواة العلم كثر ، ورعاته قليل »[1] .

---

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٩٣ .

لقد سماهم حياة هذا وموت ذاك ، يدلكم حلمهم وصفحهم عن الذنوب ، على علمهم وفضائلهم ، ويدلكم ما ظهر منهم من الأفعال الحسنة على ما بطن من إخلاصهم ، ويدلكم صمتهم وسكوتهم عما لا يعنيهم ، عن حكمة منطقهم ، فهم لا يخالفون الحق ، ولا يعدلون فيه ، ولا يختلفون فيه ، كما يختلف غيرهم ، من الفرق وأرباب المذاهب ؛ كما أنهم أركان الإسلام ودعائمه ، ومداخل الإعتصام ومواضعه ، بهم رجع الحق إلى مستقره وموضعه ، وزال الباطل ومحق عن موضعه ، فاقتلع لسانه وانقطعت حجته ؛ عرفوا الدين ، معرفة الواعي للشيء ، والفاهم له ، والمتقن لجميع أسبابه ، وعقلوه عقل رعاية ، فحفظوه وحاطوه ، بقلوبهم وعقولهم ، فلقد حفظوا العلم وفهموه بأدق المعاني عن إصالةٍ وإدراك ، لا كما يروى العلم بأسناده للرجال ، وبأخذه من أفواه الناس .

ومما يروى عن هارون العبيدي ، أنه قال : أتيت أبا سعيد الخدري ، فقلت له : هل شهدت بدراً ؟ .

قال : نعم .

قلت : أفلا تحدثني بما سمعته من رسول الله (ص) عن علي (ع) وفضله ؟ .

قال : بلى ؛ أخبرك أن رسول الله (ص) مرض مرضه الذي فقدناه به ، فدخلت عليه فاطمة (ع) ، وأنا جالسٌ عن يمين النبي (ص) ، فلما رأت فاطمة (ع) ما

برسول الله (ص) من الضعف . خنقتها العبرة ، حتى بدت دموعها على خدها ، فقال لها رسول الله (ص) : ما يبكيكِ يا فاطمة ؟! .

قالت : أخشى الضيعة يا رسول الله .

فقال رسول الله (ص) : « يا فاطمة أن لكرامة الله إياكِ ، زوجكِ من هو أقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً ؛ إن الله تعالى اطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختارني منهم ، فجعلني نبياً مرسلاً ، ثم اطلع اطلاعة ثانية ، فاختار منهم بعلكِ ؛ فأوحى إليَّ أن أزوجه إياكِ واتخذه وصياً .

يا فاطمة ، منَّا خير الأنبياء ، وهو أبوكِ ، ومنَّا خير الأوصياء ، وهو بعلكِ ، ومنَّا خير الشهداء ، وهو حمزة عم أبيك ، ومنَّا من لهّ جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء ، وهو جعفر ابن عم أبيك ، ومنَّا سبطا هذه الأمة ، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، وهما إبناكِ ؛ والذي نفسي بيده ، منَّا مهدي هذه الأمة وهو من وُلدكِ[1] .

وخلاصة القول ، إن استقصاء السنن العديدة التي تبين المقام الكريم والمنزلة الرفيعة لأهل بيت الرسول (ص) ، لا يتسع المقام لذكرها ، لكن هذا غيضٌ من فيض ، فهم الصراط المستقيم والميزان ، والحد الفاصل بين الجنة والنار ،

---

(١) المهاجر : عبد الحميد ، اعلموا أني فاطمة ، مجلد ٧ ص ١٠٣ ط ١ (عن ينابيع المودة ص ٤٣٦) .

فمن أحبهم وتولاهم فاز ونجا ، ومن أبغضهم وتولى عنهم ، ليس له إلا الخسران المبين .

ربنا إننا نتوسل إليك بهم فاجعلهم شفعاءنا يوم الدين ، واحشرنا معهم : ﴿ **واعفِ عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ .

٣ ـ بيان العصمة

لم يزلِ ، يبعث الله الأنبياء واحداً بعد واحد ، إلى أن بعث محمداً (ص) ، فتمت به حجته على جميع خلقه ، فلم يبقَ بعد محمدٍ (ص) رسول ينتظر ، وانتهى عذر الله ونذره إلى خلقه .

لقد اختلف المتكلمون في عصمة الأنبياء ، فقال قوم : المعصوم هو الذي لا يمكنه الإتيان بالمعاصي ، وهؤلاء هم الأقلون من العلماء أهل النظر .

وقال آخرون : المعصوم هو المختص ، في نفسه أو بدنه أو فيهما ، بخاصية تقتضي امتناع إقدامه على المعاصي .

وقال قوم آخر منهم : بل المعصوم مساوٍ في الخواص النفسية والبدنية لغير المعصوم ؛ وإنما العصمة هي القدرة على الطاعة ، أو عدم القدرة على المعصية .

وقال الأكثرون من أهل النظر : المعصوم مختار متمكن من المعصية والطاعة ، وفسروا العصمة بتفسيرين ، أحدهما : أنها أمور يفعلها الله تعالى بالمكلف ، فتقتضي أن لا يفعل

المعصية ، اقتضاءً غير بالغٍ إلى حد الإيجاب ؛ وفسروا هذه الأمور ، فقالوا : إنها أربعة أشياء :

أولها : أن يكون لنفس الإنسان ملكة ، مانعة من الفجور ، داعية إلى العفة .

وثانيها : العلم بمثالب المعصية ، ومناقب الطاعة .

وثالثها : تأكيد ذلك العلم ، بالوحي والبيان ، من الله تعالى .

ورابعها : أن متى صدر عنه خطأ من باب النسيان أو السهو ، لم يترك مهملاً ، بل يُعاقب ويُنبه ، ويضيق عليه العذر .

قالوا : فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة ، كان الشخص معصوماً ، عن المعاصي لا محالة ، لأن العفة ، إذا انضاف إليها العلم ، بما في الطاعة من السعادة ، وما في المعصية من الشقاوة ، ثم أكدَّ ذلك تتابع الوحي إليه وترادفه ، وتظاهر البيان عنده ، وتمم ذلك خوفه من العتاب ، على القدر القليل ، حصل من اجتماع هذه الأمور ، حقيقة العصمة .

وقال أصحابنا : العصمة لطف ، يمتنع المكلف عند فعله من القبيح اختباراً ، وقد يكون ذلك اللطف ، خارجاً عن الأمور الأربعة المعدودة ، مثل أن يعلم الله تعالى ، أنه إن أنشأ سحاباً ، أو أهبَّ ريحاً ، أو حرَّك جسماً ، فإن زيداً يمتنع عن قبيح مخصوص اختباراً ، فإن الله تعالى ، إنما يفعل ذلك لطفاً منه ، ويكون هذا اللطف عصمة لزيد ؛ وإن كان الإطلاق

المشتهر في العصمة ، إنما هو لمجموع ألطاف ، يمتنع المكلف بها عن القبيح ، مدة زمان تكليفه .

وهكذا ! فإن منزلة العترة الطاهرة ، آل بيت رسول الله (ص) من السمو والرفعة بمكان ، لا تصل إليه فئة من البشر ؛ فقد جعل الله لهم درجة رفيعة ، لما لهم من الكرامات عند الله ، وقد ورد ذلك بآياتٍ كثيرة من القرآن الكريم ، وورد ذلك في أحاديث كثيرة ، على لسان رسول الله (ص) ، فتناقلته كتب التفاسير والحديث ، فتعددت الصيغ ، واختلفت في التركيب اختلافاً جزئياً ، يتناول الجوانب الشكلية ؛ وتتفق عامة المصادر والمراجع على الجوهر والمضمون .

فلقد شاء الله ورسوله ، لهذه العترة الطاهرة ، أن تكون باب نجاة الأمة ، فسألهم المودة في أهله ، لأنهم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ، وأمر بالتزام مودتهم ، والتمسك بحبلهم ؛ وجعل معرفتهم براءة من النار ، وأماناً من العذاب ، وجوازاً على الصراط .

فالأئمة ، وعلى رأسهم علي (ع) معصومون منزهون عن الخطأ ، لأن الغاية من وجودهم ، هو إرشاد الناس إلى الحق ، وردعهم عن الباطل ، فلو جاز على أحدهم الخطأ ، في الأحكام أو المعصية ، لكان كمن يطهر الميكروب بميكروبٍ مثله ، وهو أفضل من الرعية عقلاً وخلقاً ، لأنه لو لم يكن كذلك لكان ذلك قبيحاً عقلاً وشرعاً .

وقد روي عن ابن عباس ، أنه قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : « أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من وِلد الحسين مطهرون معصومون »[1] .

فالإمامة بحقيقتها لطف من الله ، ورحمة للعالمين ، فهي خلافة النبوة قائمة مقامها ، باستثناء الوحي ، لأن النبي (ص) ، يتلقى الوحي من عند الله عز وجل ، والإمام يتلقى الأحكام عن النبي (ص) ، لتقريب العبد إلى الطاعة ، وإبعاده عن المعصية ، فهو يُطاع بأمرٍ من الله ورسوله ، وهو مرشد للناس ، يردع الظالم عن ظلمه ، وينتصف للمظلوم من ظالمه ، ويحمل العباد على تطبيق الشريعة ، والوظائف الدينية ، ويردعهم عن المفاسد والضياع ، لأنه موضع سر الله ، وكنز الرحمن والنور المضيء ، والبرهان الجلي ، والمنهاج البادي ، والكتاب الهادي ، وأساس الدين وعماد اليقين ، وعيش العلم ، وموت الجهل .

---

(١) المازندراني : ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب مجلد ٢ ص ٢٩ .
وشرف الدين : عبد الحسين ، المراجعات ص ٢٢٩ ط ٥ .

٤ ـ بعض شمائله وأدعيته

كان علي (ع) أسمر مربوعاً، وهو إلى القصر أقرب، عظيم البطن، دقيق الأصابع، غليظ الذراعين، حمش الساقين، في عينيه لين، عظيم اللحية، ناتىء الجبهة.

قال أبو الفرج: وصفته هذه، وردت بها الروايات، متفرقة فجمعتها، وأتمّ ما ورد فيها من الأخبار، حديث حدثني به أحمد بن الجعد، وعبد الله بن محمد البغوي، قالا:

حدثنا سويد بن سعيد، قال: حدثنا داود بن عبد الجبار، عن أبي إسحاق، قال: أدخلني أبي المسجد يوم الجمعة، فرفعني فرأيت علياً (ع)، يخطب على المنبر، شيخاً أصلع، ناتىء الجبهة، عريض ما بين المنكبين، له لحية قد ملأت صدره، في عينه أطر غشاش: قال داود: يعني ليناً في العين. قال: فقلت لأبي: من هذا يا أبه؟!

فقال: هذا علي بن أبي طالب (ع) ابن عم رسول الله (ص)، وأخو رسول الله (ص) ووصي رسول الله (ص) وأمير المؤمنين صلوات الله ورضوانه وسلامه

عليه »[1] .

وفي رواية ، أنه كان (ع) رجلاً ربعة ، أدعج العينين ، كأن وجهه القمر ليلة البدر ، حسناً ضخم البطن ، عريض المسربة ، شتن الكفين ، ضخم الكسور ، كأن عنقه إبريق فضة ، أصلع من خلفه شعر خفيف ، لمنكبه مشاش كمشاش الأسد الضاري ، إذا مشى تكفأ ومار به جسده ، ولظهره سنام كسنام الثور ، لا يبين عضده من ساعده قد أدمجت ادماجاً ، لم يمسك بذراع رجل قط ، إلا أمسك بنفسه ، فلم يستطع أن يتنفس ، ولونه إلى سمرة ما ، وهو أذلف الأنف ، إذا مشى إلى الحرب هرول ، قد أيده الله تعالى في حروبه بالنظر والظفر[2] .

وقد روى صاحب كتاب « الإستيعاب » ، وهو أبو عمر محمد بن عبد البر ، عن جماعة من الرواة والمحدثين ، أنهم قالوا : لم يقل أحد من الصحابة رضي الله عنهم : سلوني ! إلا علي بن أبي طالب (ع) .

« قال (ع) : « أما بعد حمد الله والثناء عليه ، أيها الناس ، فإني فقأتُ عين الفتنة ، ـ أي أقدمت عليها وأطفأتُ نارها ـ ولم يكن ليجتريء عليها أحد غيري ، بعد أن ماج غيهبها ـ أي بعد حركتها وهيجانها ـ واشتد كلبها . فاسألوني

---

(١) الأصفهاني : أبو الفرج ، مقاتل الطالبيين ص ١٨ ط ٦١ .
(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، مجلد ١ ص ٤٨٠ .

قبل أن تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده ، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي فئة وتضل فئة ، إلا أنبأتكم بناعقها ، وقائدها وسائقها ، ومناخ ركابها ومحطّ رحالها ، ومن يقتل من أهلها قتلاً ، ومن يموت موتاً »[1] .

لقد أقسم (ع) بالله الذي نفسه بيده ، أنهم لا يسألونه عن أمرٍ يحدث بينهم وبين القيامة ، إلا أخبرهم ، وأنه ما صح من طائفة من الناس يهتدي بها فئة وتضل بها فئة إلا وهو مخبرٌ لهم ، إن سألوه برعاتها وقائدها وسائقها ، ومواضع نزول ركابها وخيولها ، ومن يقتل منها قتلاً ، ومن يموت منها موتاً ؛ وهذه الدعوة ليست منه (ع) ادعاء الربوبية ولا ادعاء النبوة ، ولكنه كان يقول : إن رسول الله (ص) أخبره بذلك ؛ ولقد امتحنا أخباره ، فوجدناه موافقاً ، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة ، كإخباره عن الضربة التي يُضرب بها في رأسه ، فتخضب ؛ وأخباره عن قتل الحسين (ع) في كربلاء ، حيث مرَّ بها وهو في طريقه إلى صفين ، فبكى حتى اخضلت لحيته ، وسالت الدموع على صدره ، وقد روى الخبر ابن سعيد في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر ، من الصواعق المحرقة لأبن حجر عن الشعبي قال :

« مرَّ علي (ع) بكربلاء ، عند مسيره إلى صفين ، وحاذى نينوى ، فوقف وسأل عن اسم الأرض ، فقيل : كربلاء . فبكى حتى بلَّ الأرض من دموعه ، وقد مرَّ بموضع قبر

---

(١) ذاته ، مجلد ٢ ص ١٧٤ .

الحسين (ع) فقال: «ههنا مناخ ركابهم، ها هنا موضع رحالهم، ها هنا مهرَق دمائهم، فتية من آل محمد (ص) يُقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض»[1].

وقد روى الخبر ابن عباس، قال: «إن أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب(ع)، عندما نزل في خروجه إلى صفين، بموضع على الفرات، قال بأعلى صوته: «يا بن عباس! أتعرف هذا الموضع؟.

قلتُ: لا أعرفه، يا أمير المؤمنين.

قال: لو عرفته كمعرفتي، لم تكن تجوزه حتى تبكي لبكائي.

قال: فبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معه وهو يقول: «ما لي ولآل سفيان، حزب الشيطان... صبراً أبا عبد الله، فلقد لقي أبوك، مثل الذي تلقاه»[2].

وكذلك إخباره، بملك معاوية الأمر من بعده، وكم له

---

(١) أمين: أحمد، التكامل في الإسلام، ج٤، ص١٩٣ و١٩٤.
والطبري: ابن جرير، تاريخ الرسل، ج٤، ص٥٦٣، دار المعارف.
واليوسف: إسماعيل، شهيد كربلاء، ص٢٥، دار الإنصاف.
والقرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي (ع)، ص١٤٣ ط الإنصاف.
(٢) المصادر السابقة.

من الإخبار عن الغيوب ، مما لو أردنا استقصاءه ، لكرسنا له كراريس كثيرة ؛ وكتب السِّير تشتمل عليها مشروحة ، فليراجعها من أراد الإستزادة .

أما أدعيته (ع) المروية عنه فكثيرة ، لا يتسع المقام لروايتها ، لكننا نكتفي باليسير اليسير ، على سبيل المثال لا الحصر ؛ ومنها :

دعاؤه في النصر على العدو :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، يا الله يا رحمن يا رحيم ، يا أحد يا صمد ، يا إلاه محمد ، إليك نقلت الأقدام وأفضت القلوب ، وشخصت الأبصار ، ومُدت الأعناق ، وطلبت الحوائج ، ورفعت الأيدي ؛ اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

ثم يقول : لا إلاه إلا الله (ثلاثاً) والله أكبر »[1] .

ونُسب لأمير المؤمنين (ع) هذا الدعاء عند الشدائد والمحن :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله وبالله ، وأسلمتُ نفسي إلى الله ، ووجهت وجهي لله ، وما توفيقي إلا بالله ، وأن الفضل بيد الله وأن الهدى هدى الله ، وأن الأمر كلَّه

---

(١) الأصفهاني : السيد محمد مهدي ، دوائر المعارف ص ١٩ ط ٩٤٩ .

لله ، وأن مردنا إلى الله ، وما الحكم إلا لله ، وما بنا من نعمة فمن الله ، ولا يأتي الخيرَ إلا الله ، ولا يصرف الشرَّ إلا الله ، وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ، ولا عاصم اليوم من أمر الله ، ونِعم القادر الله ، ونِعم المولى الله ، ونِعم النصير الله ، ولا يغفر الذنوب إلا الله ؛ أعددتُ لكل حركة بسم الله ، ولكل نعمة الحمدلله ، ولكل حسنة المنة لله ، ولكل سيئة استغفر الله ، ولكل شدة استعنت بالله ، ولكل مصيبة إنا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، واستهدي الله ، واستكفي الله ، واستعين بالله ، واستغفر الله ، واستظهر بالله ، واعتصم بحبل الله ، وأؤمن بالله ، وأتوكل على الله ، باسم الله اعتصمت ، وبالله تحصنت ، وعلى الله الحي الذي لا يموت توكلت ، ورميت من يؤذيني ويؤذي المؤمنين (تذكر من تريد) بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم اغفر لي ما سبق من الذنوب ، واعصمني فيما بقي من الأجل ، فإن الخير كله بيدك ، وأنت بنا رؤوف رحيم ، اللهم وفقنا لطاعتك ، واتمم تقصيرنا ، وتقبّل منا ، يا ذا الجلال والإكرام »[1] .

ومن مناجاة لأمير المؤمنين علي (ع) :

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلى
تباركت تُعطي من تشاء وتمنع
إلهي وخلاقي وحرزي وموئلي
إليك لدى الإعسار واليسر أفزع

---

(١) العاملي : بهاء الدين ، المخلاة ص ١٦٤ و ١٦٦ .

إلهي لئن جلَّت وجمَّت خطيئي
فعفوك عن ذنبي أجل وأوسع
إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها
فها أنا في روض الندامة أرتع
إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي
وأنت مناجاتي الخفية تسمع
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تُزغ
فؤادي فلي في سيب جودك مطمع
إلهي لئن خيبتني أو طردتني
فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفع
إلهي أجرني من عذابك إنني
أسير ذليل خائف لك أخضع
إلهي فآنسني بتلقين حجتي
إذا كان لي في القبر مثوى ومضجع
إلهي لئن عذبتني ألف حجة
فحبل رجائي منك لا يتقطع
إلهي أذقني طعم عفوك يوم لا
بنون ولا مال هنالك ينفع
إلهي لئن لم ترعني كنت ضائعاً
وإن كنت ترعاني فلست أضيع
إلهي إذا لم تعفُ عن غير محسنٍ
فمَنَ لمسيءٍ بالهوى يتمتع

إلهي ذنوبي بذَّت الطودَ واعتلت
وصفحُك عن ذنبي أجل وأرفع
إلهي أنلني منك روحاً وراحةً
فلستُ سوى أبواب فضلك أقرع[1]

قد روي عنه (ع) ، ثلاث كلمات في المناجاة :

« إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً ، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً ، أنت كما أحب فاجعلني كما تُحب »[2] .

ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيراً نجعله مسك الختام في هذا المقام :

« الحمدلله الذي لم يصبح بي ميتاً ولا سقيماً ، ولا مضروباً على عروقي بسوء ، ولا مأخوذاً بأسوأ عملي ، ولا مقطوعاً دابري ، ولا مُرتداً عن ديني ، ولا مُنكراً لربي ، ولا مُستوحشاً من إيماني ، ولا مُلتبساً عقلي ، ولا مُعذباً بعذاب الأمم من قبلي ؛ أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي ، لك الحجةُ عليَّ ولا حجة لي ، لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ، ولا أتقي إلا ما وقيتني ، اللهم إني أعوذ بك أن افتقر في غناك ، أو أضِلَّ في هُداك ، أو أُضامَ في سلطانك ، أو أُضطهَدَ والأمرُ لك ، اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي ، وأولَ وديعةٍ ترتجعها من ودائع نعمك عندي ، اللهم إنا نعوذ بك أن

---

(١) القمي : الشيخ عباس ، مفاتيح الجنان ص ١٨٣ دار الأضواء .
(٢) ذات المصدر ص ١٨٤ .

نذهب عن قولك أو نفتن عن دينك ، أو تُتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاد من عندك »[1] .

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة المجلد ٣ ص ٢٨ .

٥ ـ حبه وبغضه

تواصل كثير من الناس على بغض علي (ع) ، وكان أكثرهم من أهل البصرة ، حيث كانت في أنفسهم ، أحقاد يوم الجمل ، وأتباع معاوية .

ويعود السبب في ذلك ، أن علياً(ع) كان شديداً في دين الله ، لا يبالي ، مع علمه بالدين واتباعه الحق ، من سخط ومن رضى .

ولقد روي أن إنساناً ، سأل الحسن بن أبي الحسن البصري ، عن علي (ع) ، فقال :

« كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا سابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله (ص) ، ولم يكن بالنؤمة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ؛ أعطى القرآن عزائمه ، ففاز فيه برياض مونقة . ذلك علي بن أبي طالب يا لُكع .

والجدير بالإشارة هنا ، أنه كان كارهاً لعلي (ع) ، لا يطيق اسمه ، وكان من المنخذلين عن نصرته ؛ حيث روي أن

علياً (ع) رآه يتوضأ ، وكان ذا وسوسة ، فصب على أعضائه ماءً كثيرة ؛ فقال له الإمام (ع) : أرقت ماءً كثيراً يا حسن .

فقال : ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر .

قال (ع) : أو ساءك ذلك ؟

قال : نعم !

قال (ع) : فلا زلت مسوءاً .

قيل : فما زال الحسن عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات .

وروى أبان بن عياش قال : سألت الحسن البصري عن علي (ع) فقال : ما أقول فيه ؟! كانت له السابقة والفضل ، والعلم والحكمة والفقه والرأي ، والصحبة والنجدة ، والبلاء والزهد ، والقضاء والقرابة ؛ إن علياً كان في أمره علياً ، رحم الله علياً وصلى عليه .

فقلت : يا أبا سعيد ! أتقول صلى عليه لغير النبي ؟! .

فقال : ترحم على المسلمين إذا ذُكروا ، وصلِّ على النبي وآله ، وعليٌّ خير آله .

فقلتُ : أو خير من حمزة وجعفر ؟ ! .

قال : نعم .

قلت : وخير من فاطمة وابنيها ؟

قال : نعم والله إنه خير آل محمد كلهم ، ومن يشك أنه خير منهم ؛ وقد قال رسول الله (ص) : « وأبوهما خير

منهما » ؛ ولم يجر عليه اسم شرك ، ولا شرب خمر . وقد قال رسول الله (ص) لفاطمة (ع) : « زوجتكِ خير أُمتي » . فلو كان في أُمته خير منه لاستثناه ؛ ولقد آخى رسول الله (ص) بين أصحابه ، فآخى بين علي (ع) ونفسه فرسول الله (ص) خير الناس نفساً وخيرهم أخاً .

وقد كان بالكوفة من فقهائها ، من يعادي علياً (ع) ويبغضه ؛ مع غلبة التشيع على الكوفة ؛ وقد كثرت الروايات ، عن كثيرٍ من الناس ، الذين عرفوا ببغضهم وعدائهم ، لعلي بن أبي طالب (ع) . وقد روى عاصم بن أبي عامر البجلي ، عن يحيى بن عروة قال : كان أبي إذا ذُكر علياً نال منه ؛ وقال لي مرة : يا بني ، والله ما أحجم الناس عنه إلا طلباً للدنيا ؛ لقد بعث إليه أسامة بن زيد ، أن ابعث إليَّ بعطائي ، فوالله أنك لو كنت في فم أسدٍ لدخلت معك .

فكتب إليه : إن هذا المال ، لمن جاهد عليه ، ولكن لي مالاً بالمدينة ، فأصب منه ما شئت .

قال يحيى : فكنتُ أعجب من وصفه إياه ، بما وصفه به ، ومن عيبه له ، وانحرافه عنه .

والمعروف بروايات من يوثق بهم ، ومن طرق كثيرة ، أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ص) يزهد ، إلا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد[1] .

---

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، مجلد ١ ص ٣٧١ .

وقد روي أن أهل البصرة كلهم ، كانوا يبغضون علياً ، وكثير من أهل الكوفة ، وكثير من أهل المدينة ؛ أما أهل مكة ، فكانوا يبغضونه قاطبة ، وكانت قريش كلها على خلافه .

وروي عنه (ع) أنه قال : « ما لقي أحد من الناس ما لقيت ، اللهم إني استعديك على قريش ، فإنهم قطعوا رحمي ، وأصغوا إنائي ، وصغروا عظيم منزلي ، وأجمعوا على منازعتي » .

وروي عنه (ع) أيضاً ، أنه قال : من أحبنا أهل البيت ، فليستعد عدة للبلاء .

وقال (ع) : يهلك فيَّ رجلان : محبٍ غال ، ومبغضٍ قال .

وقال (ع) أيضاً : يهلك فيَّ ثلاثة : اللاعن ، والمستمع المقر ، وحامل الوزر ، وهو الملك المسرف الذي يتقرب إليه بِلَعْني ، ويُبرأ عنده من ديني ، ويُنتقص عنده حسبي ؛ وإنما حَسبي حَسب رسول الله (ص) وديني دينه ؛ وينجو فيَّ ثلاثة : من أحبني ، ومن أحب محبي ، ومن عادى عدوي ، فمن أشرب قلبه بغضي ، أو أَلَّب عليَّ بغضي ، أو انتقصني ، فليعلم أنَّ الله عدوه وخصمه ، والله عدوٌ للكافرين .

وقد روي عنه (ع) أنه قال على منبر الكوفة : « سيعرض عليكم سبي ، وستُذبحون عليه ؛ فإن عرض عليكم سبي ، فسبوني فإنه لي زكاة ، ولكم نجاة ؛ وإن عُرض عليكم البراءة

مني ، فإني على دين محمدٍ (ص) . ولم يقل : فلا تبرأوا مني .

وروي عن رسول الله (ص) ، أنه دخل على فاطمة (ع) ، فوجد علياً نائماً ، فذهبت تنبهه . فقال (ص) : دعيه ، فرب سهر له بعدي طويل ، ورب جفوة لأهل بيتي ، من أجله شديدة . فبكت (ع) .

فقال (ص) : لا تبكي ، فإنكما معي ، وفي موقف الكرامة عندي .

وروي أيضاً عن رسول الله (ص) أنه قال لعلي (ع) : عدوك عدوي ، وعدوي عدو الله عز وجل .

وروي عن رسول الله (ص) ، أنه وضع رأسه على رأس علي (ع) وبكى .

فقال علي (ع) : وما يبكيك يا رسول الله ؟! .

قال (ص) : ضغائن في صدور قوم ، لا يبدونها لك حتى يفقدوني .

فقال (ع) : يا رسول الله ، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟ .

قال (ص) : بل تصبر .

قال(ع) : فإن صبرت ؟! .

قال (ص) : تلاقي جهداً .

قال (ع) : أفي سلامة من ديني ؟

قال (ص) : نعم .

قال (ع) : فإذاً لا أُبالي .

وقد روي عنه (ع) ، أنه قال : « ما رأيتُ منذ بعث الله محمداً (ص) رخاءً ؛ لقد أخافتني قريش صغيراً ، وأنصبتني كبيراً ، حتى قَبض الله رسوله ، فكانت الطامة الكبرى ، والله المستعان على ما تصفون »[1] .

ومن خطبة له (ع) يقول فيها : « لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا بجمَّاتها على المنافق ، على أن يحبني ما أحبني . وذلك أنه قُضي فانقضى ، على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله ، أن قال : « يا علي لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبك منافق » .

أجل ! هي كلمة حقّ ، حيث الإيمان وبغض علي (ع) لا يجتمعان ، لأنه بغضه كبيرة ، وصاحب الكبيرة لا يمكن أن يسمى مؤمناً . أمَّا المنافق ، الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، وهو كافر بعقيدته وحقيقته ، فلا يحبّ علياً ؛ ولأنّ المراد من الخبر ، هو المحبة الدينية . ومن لا يعتقد الإسلام ، ولا يدين بالشريعة الإسلامية ، وبالرسالة التي جاء بها سيد المرسلين محمد (ص) ، لا يحب أحداً من أهل الإسلام ، لإسلامه وجهاده في الدين ؛ لذا فقد بان أن الكلمة حق وصدق ؛ وقد روي هذا الخبر في الصحاح بغير هذا اللفظ ، هو « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق » .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .

ـ ٦ : أول المسلمين ـ

لقد نأى (ع) عن أصنام القوم، اقتداءً منه برسول الله (ص)؛ فقد لبَّى دعوة الحق، التي دعاه إليها النبي (ص)، يوم دخل الحجرة على ابن عمه محمد (ص) فوجده وخديجة يركعان ويسجدان، وتتابعهما فاطمة الطفلة (ع) بالمحاكاة.

خشع قلبه وتاقت نفسه، لالتهام ما يسمعه، من قراءة ساحرة، يرتلها محمد (ص)، بصوت عذب، ما سمع مثل طلاوتها، ولا رنتها ولا بلاغتها من قبل. أخذته النشوة فيما استوضح محمداً (ص) عن سرٍّ عمله، فامتلأ قلبه بالإيمان، وفاضت نفسه خشية من روعة البيان، يستمع إلى الآيات بشغف ولهفة، فتنير بصيرته بنور الهداية؛ ألا قد صدَّق محمداً (ص) حقاً؛ وما كانت هذه الآيات بالتي يستطيع بشر، بل هي من عند الله.

ترك (ع) الرسول (ص)، وقضى ليله كالمحموم، يقلب الأمر في عقله، وقد استبان له الرشد من الغي، وفاض به الشوق، إلى أن يقتحم حجرة محمد (ص)،

يطلب منه أن يقبله في الدين الجديد ، عابداً جديداً .

لقد استقبله محمد (ص) برفق ؛ فقال علي (ع) : « يا ابن عمي ، إني سمعت وأجبت ، وإني أشهد بشهادة الإسلام ، أن لا إلاه إلا الله ، وأنك لرسوله » .

فابتسم محمد (ص) ومسح بكفه على رأسه وصدره .

وتابع علي (ع) يضيف : لا يا رسول الله ، ما كنت لأسمع لأبي طالب أو أشاوره في ديني ، فلقد خلقني الله ، ولم يشاوره في خلقي ؛ إني هُديت يا رسول الله بك إلى ربي ، فلأعبدنّه ابتغاء وجهه .

وهكذا رويت نفس علي (ع) بفضائل الإسلام ، وتغذت روحه ، من معين صاحب الرسالة محمد (ص) ؛ فما تنفس صبح إلا تلمس وجهة النبي (ص) - وما جن ليل إلا كان خلفه كظله .

كان (ع) يمسك عن الحديث أمام إخوانه ومن استخبره عن دين محمد (ص) الجديد . فلقد كتم سرَّ إسلامه ولم يظهره لأحد ، لكن هذا السرَّ ، آن له أخيراً أن يذاع ، وأن علياً (ع) لم يتوجه خفية لإذاعة هذا السرِّ ، بل طابت به نفسه ، واشتملته الفرحة ، حينما تفتح قلب أمه ، لتلبية نداء الله ، حتى صارت الأولى إسلاماً ، في بيت هاشم ، وقد انشرح صدره (ع) لإسلام أمه ، وتوسم خيراً في إسلامها ، أملاً أن تصيب عدوى الإيمان أباه ، فبقي هذا الحلم الجميل يداعب خياله .

ولما كرَّ ذات ليلة ، قافلاً من حراء ، صادف أباه على مقربة من الغار ، فسرَّه أن يقبل عليه أبوه مستفسراً عن سبب وجوده في هذه الناحية ، في مثل هذا الوقت ، ويتحقق بجوابه لأبيه ، رجاؤه المنشود ؛ فسأله أبو طالب عن سرِّ وجوده ؟ ! .

فأجابه (ع) : أقضي حق ربي .

ـ ٧ : مبيته في فراش الرسول (ص) ـ

اجتمع المشركون في دار الندوة ، يأتمرون على قتل رسول الله (ص) واسرُّوا ذلك بينهم ؛ فقال العاص بن وائل ، وأمية بن خلف : نبني له بنياناً نستودعه فيه ، فلا يخلص إليه أحد ، ولا يزال في رتق من العيش ، حتى يذوق طعم المنون .

فقال قائل : تباً لهذا الرأي وترحاً ؛ لئن صنعتم ذلك ، ليسمعنَّ الحميم والمولى الحليف ، ثم لتأتين المواسم والأشهر الحرم بالأمن فيتزعزع من أيديكم .

فقال عتبة وأبو سفيان : نرحل بعيراً صعباً ، ونوثق محمداً عليه ، ثم نقطع البعير باطراف الرماح ، فيقطعه إرباً إرباً .

فقال صاحب رأيهم : أرأيتم أن خلص به البعير سالماً ، إلى بعض الأفاريق ، فأخذ بقلوبهم بسحره وبيانه ، فصبا القوم إليه ، واستجابت القبائل له فيسيرون إليكم بالكتائب ، فلتهلكنَّ كما هلكت أياد .

فقال أبو جهل : لكن أرى لكم رأياً سديداً ، وهو أن

تعمدوا إلى قبائلكم العشر ، فتنتدبوا من كل قبيلة رجلاً نجداً ، ثم تسلحوه حساماً عضباً ، حتى إذا غسق الليل ، أتوا ابن أبي كبشه فقتلوه ، فيذهب دمه في قبائل قريش ، فلا يستطيع بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، مناهضة قريش ، فيرضون بالدية .

فقال صاحب رأيهم : أصبت يا أبا الحكم . هذا هو الرأي ، فلا تعدلوا به رأياً ، وكمُّوا في ذلك أفواهكم .

فسبقهم الوحي بما كان من كيدهم ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾[1] . فدعا رسول الله (ص) علياً (ع) وأخبره بذلك وقال له : « أوحى إليَّ ربي ، أن أهجر دار قومي ، وأنطلق إلى غار ثور ، تحت ليلتي هذه ، وأن آمرك بالمبيت على مضجعي ، ليخفى بمبيتك عليهم أمري » .

فقال علي (ع) : أو تسلمنَّ بمبيتي هناك يا نبيَّ الله ؟ .

قال (ص) : نعم .

فتبسم علي (ع) ضاحكاً ، وأهوى إلى الأرض ساجداً لله شكراً ، لما بشرَّه (ص) بسلامته .

قال رسول الله (ص) : أرقد على فراشي ، واشتمل

---

(١) الأنفال ٣٠ .

ببردي الحضرمي ، ثم ضمه النبي (ص) إلى صدره ، وبكى وجداً به . فبكى علي (ع) لفراق رسول الله (ص) : فانزل الله عز وجل في علي (ع) قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد** ﴾[1] وأمر رسول الله (ص) أبا بكر وهند بن أبي هالة - وهو ربيب رسول الله (ص) ، أمه خديجة أم المؤمنين - أن يقعدا بمكان ذكره لهما في طريقه إلى الغار ، ولبث مع علي (ع) يوصيه ، ويأمره بالصبر ، حتى صلى العشائين ، ثم خرج في فحمة العشاء الآخرة ، والرصد من قريش قد أطافوا بداره ، فيهم أبو جهل ، والحكم بن أبي (العاص) وعقبة بن أبي معيط ، والنفر بن الحارث ، وأمية بن خلف ، وابن الغيطلة ، وزمعة بن الأسود ، وطعيمة بن عدي ، وأبو لهب وأبي بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وخالد بن الوليد بن المغيرة ، ينتظرون إلى أن ينتصف الليل وتنام الأعين . فخرج (ص) وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾[2] . ومضى حتى أتى إلى أبي بكر وهند ، فنهضا معه حتى وصلوا الغار ؛ وهو غار ثور ، جبل بأسفل مكة سمي باسم ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، لأنه ولد عنده ، فدخل الرسول (ص) وأبو بكر الغار ، ورجع هند إلى مكة ، لما أمره به رسول الله (ص) فلما أغلق الليل أبوابه ، وانقطع الأثر ، أقبل

---

(١) البقرة ٢٠٧ .

(٢) يس ٩ .

القوم على علي (ع) ، يقذفونه بالحجارة ، ولا يشكو أنه رسول الله (ص) ، حتى إذا قرب الفجر ، هجموا عليه ، وكانت دارمكة يومئذٍ لا أبواب لها ؛ فلما بصر بهم علي (ع) قدد انتصبوا السيوف وأقبلوا بها إليه ، يتقدمهم خالد بن الوليد ، فوثب علي (ع) على خالد ، وأخذ سيفه وشدَّ عليهم ، فاجفلوا أمامه إلى ظاهر الدار ، وبصروه فإذا هو علي(ع) ، فقالوا : إنا لم نردك ، فما فعل صاحبك ؟ .

قال علي (ع) : لا علم لي به .

فاذكت قريش عليه العيون ، وركبت في طلبه الصعب والذلول ، وأمر الله العنكبوت ، فنسجت على باب الغار بيتاً لها ، وأمر حمامتين وحشيتين ، فوقعتا بفم الغار وباضتا ، فلما قربوا منه ، قال بعضهم : إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد ؛ ورأى أولهم الحمامتين فرجعوا ، وأمهل علي حتى إذا أعتم من الليلة القابلة ، انطلق هو وهند بن أبي هالة حتى دخلا على رسول الله (ص) في الغار فأمر رسول الله (ص) هنداً ، أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين ، فقال صاحبه : قد اعددتُ لي ولك يا نبي الله راحلتين .

فقال (ص) : إني لا آخذهما ، ولا إحداهما إلا بالثمن .

فقال : فهما لك بذلك .

فأمر (ص) : علياً فاقبضه الثمن[1] ، ثم وصى

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢٠٤ ط ٩٦٠ . والشرِّي =

علياً (ع) بحفظ ذمته وأداء أمانته ؛ .

وكانت قريش تدعو محمداً (ص) في الجاهلية الأمين ، وتودعه أموالها ؛ وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم ، وجاءته النبوة والأمر كذلك ، فأمر علياً أن يقيم منادياً بالأبطح غدوة وعشية : ألا من كانت له قبل محمدٍ أمانة ، فليأت لتؤدى إليه أمانته . وقال (ص) : إنهم لم يصلوا إليك بما تكرهه حتى تقدم عليَّ ؛ فادِّ أمانتي على أعين الناس ، وإني مستخلفك على فاطمة ابنتي ، ومستخلف ربي عليكما ؛ وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ، ومن أراد الهجرة معه ، من بني هاشم وغيرهم وقال (ص) : إذا قضيت ما أمرتك ، فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله ، وانتظر قدوم كتابي إليك ، ولا تلبث بعده .

وأقام رسول الله (ص) في الغار ثلاث ليال ، ارتحل الرسول (ص) بعدها وصاحبه ، ومعهما عامر بن فهيرة ، غلام أبي بكر ، بعد أن استأجروا دليلاً يقال له عبد الله بن أريقط الليثي ، وسلكوا طريق السواحل ؛ وجعلت قريش ، مئة ناقة لمن ردَّه عليهم ، وأرسلت إلى أهل السواحل ، أن من قتله أو أسره فله مئة ناقة ، ومرّوا بخيمتي أم معبد الخزاعية ، واسمها عاتكة ، وكان منزلها بقديد ؛ سألوها تمراً أو لحماً ، يشترون فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، فقالت لهم :

= محمد جواد ، أمير المؤمنين ص ٨٢ ط لبنان .

والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى .

فنظر (ص) إلى شاة في كسر الخيمة ؛ فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ .

قالت : هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم .

قال (ص) : هل بها لبن ؟؟ .

قالت : هي أجهد من ذلك .

قال (ص) : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ .

قالت : نعم ، بأبي أنت وأمي ، إن رأيت بها حلباً فأحلبها .

فدعا (ص) بها ، فمسح ضرعها ، وسمى الله ، وقال : اللهم بارك لها في شاتها . فدرّت واجترت . فدعا (ص) بإناءٍ كبير فحلب فيه فسقاها ، وسقى أصحابه حتى رويت ورووا ، ثم شرب بعدهم . ثم حلب فيه ثانياً حتى امتلأ وتركه عندها وارتحلوا . . . وما لبث أن عاد زوجها يسوق أعنزاً حيلاً عجافاً ؛ فلما رأى اللبن عجب وقال لأهله : من أين لكم هذه ولا حلوبة في البيت ؟!! .

قالت : لا والله ؛ إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك ، كان من حديثه كذا وكذا .

قال : إني لأراه صاحب قريش الذي يُطلب ؛ صفيه لي .

فوصفته له . ثم هاجرت أم معبد ، وأسلمت وبايعت ،

وهاجر زوجها وأسلم .

أما ما كان من أمر رسول الله (ص) ، فقد بقي سائراً حتى قارب المدينة ، حيث نزل بقباءٍ لإحدى عشرة أو لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وامتنع عن دخول المدينة حتى يقدم عليه ابن عمه علي وابنته فاطمة (ع) . ثم كتب محمد (ص)إلى علي (ع) ، يأمره بالمسير إليه ، وكان قد أدى أماناته ، وفعل ما أوصاه به . فلما أتاه كتاب رسول الله (ص) خرج ومن كان معه ، من ضعفاء المؤمنين ، متسللين ليلاً إلى ذي طوى . فخرج علي (ع) بالفواطم : فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وقيل : فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب ، وتبعهم أيمن بن أم أيمن ، مولى رسول الله (ص) ، وأبو واقد الليثي .

وبينما هم في الطريق ، أدركهم ثمانية فرسان ملثمون ، ومعهم مولى لحرب بن أُمية ، اسمه جناح . فأناخ علي (ع)ومن معه الإبل وأعقلوها ، وأنزل علي (ع) النسوة ، واستقبل القوم ، منتضياً سيفه ، فقالوا : أتزعم أنك ناجٍ بالنسوة ؟ ارجع لا أبا لك .

قال علي (ع) : فإن لم أفعل ؟

قالوا : لترجعن راغماً ، أو لنرجعن بأكثرك شعراً ؛ ودنوا من المطايا ليثوروها .

فمال علي (ع) فيهم ، فأهوى له جناح بسيفه ، فراغ

علي (ع) عن ضربته، وضرب جناحاً على عاتقه، فقده نصفين فهلك، وشد على أصحابه وهو على قدميه شَدة ضيغم، فتفرق القوم عنه، وقالوا: إحبس نفسك عنا يا ابن أبي طالب.

قال لهم: إني منطلقٌ إلى أخي وابن عمي، رسول الله (ص) فمن سرَّه أن أفري لحمه وأُريق دمه فليدنُ مني.

وعاد القوم خاسئين، ثم أطلق الإمام (ع) مطاياه، وسار ظافراً قاهراً، وفي الطريق لحق به نفرٌ من المستضعفين، من المؤمنين، فسار الجميع، يصلون طوراً، ولا يفترون عن ذكر الله، قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم، حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم، قبلٍ قدومهم بقوله تعالى: ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾[1].

﴿ **فاستجاب لهم ربهم إني لا أُضيع عمل عاملٍ فيكم من ذكرٍ أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حُسن الثواب** ﴾[2].

---

(١) آل عمران ١٩١.

(٢) آل عمران ١٩٥.

وتلا (ص) : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد ﴾[1] .

ودخل الرسول (ص) المدينة ، فأراده بنو سالم بن عوف على الإقامة عندهم ، في العدد والعدة والمنعة .

فقال (ص) لهم : خلّوا سبيل الناقة فإنها مأمورة ، وجعل كلما مرَّ بحي من أحياء الأنصار ، يدعونه للإقامة عندهم ، في العدد والعدة والمنعة ، فيجيبهم بمثل ذلك حتى بركت الناقة على باب مسجده ، وهو يومئذٍ مربد ليتيمين ، أرضى صاحبيه وبنى مسجده عليه .

---

(١) البقرة ٢٠٧ .

الفصل الثالث :

حـركـة الحـيـاة

١ ـ فضائله .
٢ ـ علمه .
٣ ـ شجاعته وسخاؤه وحلمه .
٤ ـ فصاحته وأخلاقه .
٥ ـ عبادته وقراءته وسياسته .
٦ ـ زهده .
٧ ـ سيرته .
٨ ـ زواجه .
٩ ـ أولاده .
١٠ ـ ما ورد في حقه في كتاب الله .
١١ ـ ما ورد في حقه في أحاديث الرسول (ص) .

١ ـ فضائله

بلغت فضائل الإمام علي (ع) ، من العظم والجلال ، والانتشار والاشتهار ، مبلغاً يضيق المجال عن ذكرها ، والتصدي لتفصيلها ، لأن الموصوف يجل عن الوصف ، مهما بلغ من المنطق رفعة واقتداراً ، فهو منسوب إلى العجز عن بلوغ الغاية ؛ فالناس يعلمون ، والأعداء يقرون قبل الأصحاب ، والخصوم يعترفون قبل الأولياء بالفضل والكرامة .

أما وقد استولى بنو أُمية ، على سلطان الإسلام ، في شرق الأرض وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة ، في إطفاء نور فضائل الإمام (ع) ، ووضع المعايب والمثالب له ، فلعنوه على المنابر ، وسبُّوه في صلاتهم ، وتوعدوا مادحيه بأسوأ العواقب ، وحبسوا شيعته في غياهب السجون ، وقتلوا مواليه في كل مكان ، فمنعت كل رواية ، تتضمن له فضلاً ، أو ترفع له ذكراً ؛ فكان من يتسمى باسمه ، مرشحٌ للعذاب والتنكيل والقتل ، وبلغ الصغار في نفوس أعدائه ، مبلغاً لم يتدن إليه مخلوق ، وما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً ، فكان كالمسك ، كلما

ستر انتشر عرفه ، وفاح طيبه ، وعطر الأرجاء نفحه ، وكلما كتم تضوع ونشر ، فهو كالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار تدركه الأبصار قبل العيون .

لقد عزي للإمام (ع) كلَّ فضيلةٍ ، وانتهى إليه كلُّ شرفٍ ورفعة ، فأصبح رئيس الفضائل ، وينبوع القدسية ، فهو المعين الإلهي الذي لا ينضب ، يتدفق العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، لأنه شرف العلم ، وباب مدينة علم الرسول (ص) . علمه أشرف العلوم ، ومن كلامه اقتبس ، وعنه نقل ، فمنه البداية ، وإليه النهاية .

لقد بلغ علي من الشرف والرفعة والفضيلة ، أعلى درجات الكمال الإنساني ، فهو نور يهدي إلى الإيمان ، ونورٌ يهدي إلى العلم ، ونورٌ يهدي إلى العدل ونورٌ يهدي إلى الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

قال رسول الله (ص) : « ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين » .

وقال (ص) ، يوم برز علي (ع) في وقعة الخندق لمنازلة عمرو بن عبد ود العامري : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » .

وقال (ص) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

وقال (ص) : « علي أقضاكم بعدي » .

وقال (ص) : « علي مع الحق والحق مع علي يدور معه

حيث ما دار[1] .

وقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال : « ما اكتسب مكتسبٌ مثل فضل علي ، يهدي صاحبه إلى الهدى ويرده عن الرَّدى » .

وروي عن ابن عباس رحمه الله ، عن رسول الله (ص) : « من سرَّه أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدنٍ غرسها ربي ، فليوالِ علياً بعدي ، وليوالِ وليه ، وليقتدِ بالأئمة من بعدي ، فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورُزقوا منها فهماً وعلماً : وويلٌ للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي »[1] .

ولقد جاء في بعض الآثار ، أن الحامدي ، في كتابه « كنز الولد » خصص فصلاً واسعاً ، استعرض فيه فضائل الوصي علي بن أبي طالب (ع) ومعجزاته . نذكر منها على سبيل المثال ، وعلى ما يسمح به المقام ، أن أول الفضائل هي ولادته في الكعبة ، فلما حضر أمَّه المخاض ، أمرها أبو طالب ، التمسح بالكعبة ، فلما دخلتها قالت : « اللهم إني مؤمنة بك ومؤمنة بنبوة نبيك إبراهيم الخليل ، وأنه هو الذي بنى بيتك العتيق ، اللهم بحق البيت ومن بناه ، إلا ما يسرت عليَّ ولادتي ، فولدته في يسرٍ وعافية ، وسط الكعبة » : ثم أسلم

---

(١) المهاجر : عبد الحميد ، اعلموا أني فاطمة ، ج ٦ ص ٢٢٥ و٥٥٣ ط ١ .

(١) نفسه ، ج١ ، ص ٢٨٢ ، ط١ .

وهو ابن سبع سنين ، ولم يعبد وثناً ، ولا عصى الله طرفة عين ، وقد عاش في صحبة رسول الله (ص) لم يفارقه ساعة من ساعات عمره ، حيث يقول لعلي (ع) : « كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمِّه » .

وهكذا فإن علياً (ع) هو الإيمان كله ، وهو الإسلام كله وهو قسيم الجنة والنار ويعسوب الدين ، وسيد الوصيين ، وقائد الغر المحجلين ، إلى جنات النعيم : وُلد في بيت الله ، وضرب في بيت الله : لقد بدأت حياته بمسجدٍ وخُتمت بمسجد ، بدأت بالمسجد الحرام ، وخُتمت بمسجد الكوفة ، ولما تلقى الضربة على رأسه وهو في السجود ، قال : « فزتُ ورب الكعبة » وهذه إشارة واضحة وصريحة ، لسيرته وفضيلته في الاستقامة على الخط المستقيم ، الذي يربط بين بيت الله في مكة ، وبين بيت الله في الكوفة[1] .

---

(١) نفسه ، ج١ ، ص ٢٨٢ ، ط١ .

٢ ـ علمه

تلامذة علي (ع) هم أهل التوحيد، الذين عرف أنهم أرباب النظر، ومنهم تعلَّم الناس طرق المعرفة وسبيل التوحيد. والأشعرية الذين ينتمون إلى أبي الحسن علي بن أبي الحسن بن أبي بشر الأشعري تلامذته: معلمهم علي بن أبي طالب (ع).

أما الإمامية والزيدية، فانتماؤهم إلى مدرسته لا يحتاج إلى دليل أو برهان.

وعُرف عنه (ع) أنه أصل علم الفقه وأساسه، وكل فقيهٍ في الإسلام، ينهل من حياضه، ويستفيد من فقهه.

والمعروف أن أحمد بن حنبل، قرأ على الشافعي، والشافعي قرأ على محمد بن الحسن، ويعود فقهه لأبي حنيفة، الذي قرأ على جعفر بن محمد، وقرأ جعفر على أبيه محمد الباقر، حيث ينتهي الأمر إلى علي (ع). ولو استعرضنا أساتذة مالك بن أنس، لوصلنا في النهاية إلى علي بن أبي طالب (ع).

أما فقهاء الشيعة ، فلا خلاف على رجوعهم وانتمائهم إلى مدرسته (ع) ، والمعروف أن فقيهي الصحابة كانا : عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وكلاهما أخذ عن علي (ع) . أما ابن عباس فأمره ظاهر ، وقد أجمع الفقهاء والعلماء قاطبة ولا يشك في ذلك مسلم : وأما عمر (رض) فقد عرف غالبية المسلمين ، أنه كان يرجع إلى علي (ع) ، في كثيرٍ من المسائل التي يُشكِل أمرها عليه ، وله قولة مشهورة ، بأكثرَ من مناسبة : « **لولا علي لهلك عمر** » . وقد أثر عنه قوله : « لا يفتيَنَّ أحد في المسجد ، وعليٌّ حاضر » كما روي عنه (رض) أنه أمر برجم امرأة أُتهمت بالزنا وهي متزوجة ، وقد ولدت لستة أشهر . فقال له علي (ع) : « يا أمير المؤمنين ، لو خاصمتك المرأة بكتاب الله لخصمتك . إن الله تعالى يقول : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهراً** ﴾ ، **ويقول جل شأنه** : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة . . .** ﴾ فإذا تمّمت المرأة الرضاعة ، وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً ، كان الحمل ستة أشهر يا أمير المؤمنين » فخلّى عمر (رض) سبيل المرأة .

ومما يُروى عنه (رض) أيضاً ، أن علي (ع) جلس معه في المسجد وعنده جماعة ، فلما قام علي (ع) من مجلسه لمزه أحدهم وعرّض بذكره ، ونسبه إلى العُجُب والتيه ، فقال له عمر (رض) : « حق لمثله أن يتيه . والله لولا سيفه ، لما قام عمود الإسلام وهو بعد أقضى هذه الأمة ، وذو سابقتها وذو

شرفها »[1] .

وهكذا يكون قد انتهى الفقه إلى علي (ع) ، وعنه (ع) أخذت أصول الأحكام وتبسيط الشرائع .

ولا أعتقد أن أحداً يشك في الحديث المروي عن رسول الله (ص) الذي يقول فيه : « أقضاكم علي » : والقضاء هو الفقه والعلم بالأحكام الشرعية .

ومما يروى أنَّ رسول الله (ص) قد بعثه (ع) قاضياً إلى اليمن ، فدعا الله سبحانه قائلاً : « اللهم اهدِ قلبه ، وثبت لسانه » .

قال (ع) : « فما شككتُ بعدها في قضاء بين اثنين » .

ولو تناولنا علم تفسير القرآن ، لوجدنا أن جلة المفسرين ، قد أخذوا يسندون الرأي إليه ، أو لعبد الله بن عباس : ونحن نعلم أن عبدالله بن عباس ، هو تلميذ علي (ع) ، وخرِّيجه وغرسته ، وقد سُئل ابن عباس يوماً : « أين علمك من علم ابن عمك ؟ » .

قال : كنسبة مُطرة من المطر إلى البحر المحيط .

أما علم النحو وأصول العربية : فقد علم كافة الناس ، ولا سيما من يشتغل بصناعة الكتابة ، أن علياً (ع) أنشأ علم

---

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، مجلد ١ ص ٦ . والشري : محمد جواد ، أمير المؤمنين ص ٢١٥ ط لبنان .

النحو ، وابتدعه يوم أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامع علم النحو وأصوله ، فأوجزه بأبسط تعبير وأوضح بيان . فقال : « الكلام كله ثلاثة أشياء ، اسم وفعل وحرف ، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب ، إلى الرفع والنصب والجر والجزم » .

٣ ـ شجاعته وسخاؤه وحلمه

إن أولي الألباب ، وذوي البصائر ، تعلم علم اليقين ، أن علياً (ع) ابن جلا الخصائص الخُلُقية ، والفضائل النفسية والدينية ، وطلاع ثناياها .

ولقد اختص الله سبحانه وتعالى علياً (ع) بكراماتٍ كانت في أسمى آيات الكمال ، علماً وتقىً وشجاعةً وكرماً ، وحلماً وأخلاق فاضلة .

لقد أنسى علي (ع) الناس ، ببطولاته المشرقة ، وشجاعته النادرة ، من كان قبله ، ومحا اسم من سيأتي بعده : فلقد تعددت مواقفه البطولية في الإسلام ، واشتهرت مقاماته في الحرب ، فتناقلها الناس ، أمثلةً قدسية ، وبطولات لم تكن لأحد قبله ولا بعده ، فهي مضرب الأمثال إلى يوم القيامة : فهو الشجاع الذي ما فرَّ قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً إلا قتله ، ولا ضرب ضربة قط واحتاج إلى ثانية . وقد ورد في الحديث : « كانت ضرباته وتراً » . ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح من الحرب بقتل أحدهما قال له عمرو بن العاص : لقد أنصفك .

فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم : أتأمرني بمبارزة أبي الحسن ، وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق : أراك طمعت في إمارة الشام بعدي . وقد كانت العرب تفتخر يوم يَقُتُل قتيلاً منها .

فقد قالت أخت عمرو بن ود العامري ترثي أخاها :

لو كان قاتل عمروٍ غير قاتله
بكيته أبداً ما دمتُ في الأبد
لكن قاتلـه من لا نظـير له
وكان يُدعى أبوه بيضة البلــد

قال ابن قتيبة في « المعارف » عن علي بن أبي طالب (ع) : « ما صارع أحداً قط إلا صرعه ، وهو الذي قلع باب خيبر : وقد اجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه ، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة ، وكان عظيماً كبيراً فألقاه إلى الأرض ، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده ، بعد عجز الجيش كله عنها فانبطَّ الماء من تحتها[1] .

وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا ، إليه ينتهي وباسمه ينادي ، في مشارق الأرض ومغاربها .

أما سخاؤه وجوده ، فحاله فيه ظاهرة ، كان يصوم

---

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، مجلد ١ ص ٧ .

ويطوي ويؤثر زاده : وفيه نزلت الآية الكريمة ، التي أجمع المفسرون على أنها نزلت بعلي (ع) ، وهي قوله تعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً** ﴾[1] .

فلقد روى كثير من المفسرين ، لا بل أجمع المفسرون ، على أن هذه الآية إنما نزلت بعلي (ع) يوم مرض الحسن والحسين ، فنذر علي وفاطمة وجاريتهما فضة ، أن يصوموا ثلاثة أيام ، تقرباً إلى الله تعالى كي يشفيهما فشفيا . ولم يذوقوا إلا الماء في الأيام الثلاثة ، حيث آثروا المسكين في اليوم الأول واليتيم في اليوم الثاني ، والأسير في اليوم الثالث ، على أنفسهم فأطعموهم وطووا على جوعهم مدى الأيام الثلاثة ، فنزل الأمين جبرائيل بهذه الآيات قائلاً لمحمد (ص) : « خذها هنأك الله في أهل بيتك فاقرأ هذه السورة »[2] .

وقد روى كثير من المفسرين أيضاً ، أن علياً (ع) لم يكن يملك إلا أربعة دراهم : فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانيةً فأنزل الله فيه قوله تعالى : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم**

---

(١) سورة الإنسان ٨ و ٩ .

والأمين : محسن ، أعيان الشيعة ج ٢ ص ٢٨١ ط ٤ .

(٢) مغنية : محمد جواد ، تفسير الكاشف مجلد ٧ ص ٤٨٣ ، دار العلم للملايين .

والطبرسي : الشيخ أبو علي مجمع البيان ج ٢٨ ص ١٤٤ دار الكتاب اللبناني .

أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٢] .

وقد رُوي عنه (ع) أنه كان يسقي بيده النخل لقومٍ من يهود المدينة ويتصدق بالأجر .

وقد روي عن أبي ذر الغفاري أنه قال :

ـ سمعتُ رسول الله (ص) بهاتين وإلا صُمتا ـ وأشار إلى أذنيه ـ ورأيته بهاتين وإلا عميتا ـ وأشار إلى عينيه ـ يقول : « عليّ قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، ومنصور من نصره ، ومخذول من خذله » . أما إني صليت مع رسول الله (ص) يوماً صلاة الظهر فسأل سائلٌ في المسجد ، فلم يعطه أحد شيئاً ، فرفع السائل يده إلى السماء وقال : « اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله (ص) ، فلم يعطني أحد شيئاً : وكان علي (ع) راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى ، إشارة للسائل ، وذلك بعين رسول الله (ص) ، فلما فرغ النبي من صلاته ، رفع رأسه إلى السماء وقال : ﴿ **اللهم إن أخي موسى سألك ، فقال : رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري** ﴾[٢] . فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً : ﴿ **قال سنشد عضدك بأخيك ، ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما** ﴾[٣] « اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك

---

(١) البقرة ٢٧٤ .
(٢) طه ٢٥ ـ ٣٢ .
(٣) القصص ٣٥ .

اللهم فاشرح لي صدري ، ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري » .

قال أبو ذر : فوالله ما استتم رسول الله (ص) الكلمة ، حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله ، فقال : يا محمد إقرأ .

قال : وما أقرأ ؟ .

قال : إقرأ : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾[1] .

وقال الشعبي ، عند ذكره علياً (ع) : أنه كان أسخى الناس : فما قال لسائل لا قط .

وقال عنه معاوية بن أبي سفيان ـ عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه ـ لمحفن بن أبي محفن الضبي لما قال له : جئتك من عند أبخل الناس ـ يقصد علياً (ع) .

فقال : ويحك ! كيف تقول أبخل الناس وهو الذي لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن ، لأنفذ تبره قبل تبنه ، وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويُصلي فيها ، وهو الذي قال : « يا صفراء ويا بيضاء غري غيري » وهو الذي لم يخلف

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥٥ .

الطبرسي : الشيخ أبو علي ـ مجمع البيان ج ٦ ص ١٢٦ و ١٢٧ ط الحياة .

والفيروز بادي : السيد مرتضى الحسيني ، فضائل الخمسة ج ٢ ص ١٣ و ١٨ مؤسسة الأعلمي .

ميراثاً ، وكانت الدنيا كلها بيده .

أما حلمه وصفحه وتجاوزه ، فيتجلى في مواقفه الكريمة ، تجاه من ظفر بهم وأطلقهم : فكان أحلم الناس عن مذنب ، وأصفحهم عن مسيء ، وقد ظهرت هذه المناقب الكريمة ، يوم الجمل ، حيث ظفر بمروان بن الحكم ، وكان أعدى الناس له ، وأشدهم بغضاً ، فصفح عنه .

وكان عبد الله بن الزبير ، يشتمه على رؤوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال : « قد أتاكم الوغب اللئيم علي بن أبي طالب » .

وكان علي (ع) يقول : « ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت » حتى شب عبد الله فظفر به يوم الجمل ، فأخذه أسيراً ، فصفح عنه وقال : « اذهب فلا أرينك » لم يزده على ذلك .

وظفر بسعيد بن العاص ، بعد وقعة الجمل بمكة ، وكان له عدواً ، فأعرض عنه ولم يقل شيئاً .

وقد علم الناس كل الناس ، ما كان موقفه من عائشة (رض) يوم ظفر بها في وقعة الجمل ، فقد أكرمها ، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة ، من نساء عبد القيس ، عممهن بالعمائم ، وقلَّدهن بالسيوف ، فلما كانت ببعض الطريق ، ذكرته بما لا يجوز أن يُذكر به ، وتأففت وقالت : هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي ، فلما وصلت إلى

المدينة ألقت النساء عمائمهن ، وقلن لها : إنما نحن نسوة .

وحاربه أهل البصرة ، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف ولعنوه ، فلما ظفر بهم ، رفع السيف عنهم ، ونادى مناديه في أنحاء العسكر : « ألا لا يتبع مولٍّ ، ولا يجهز على جريح ، ولا يُقتل مستأسر ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن» ، ولم يأخذ أثقالهم ، ولا سبى ذراريهم ، ولا غنم شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو ، وتقبّل سنّة رسول الله (ص) يوم فتح مكة ، فقد عفا (ص) والأحقاد لم تبرد ، والإساءة لم تنسَ .

ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء ، وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقالت رؤساء الشام له : اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً ، سألهم علي (ع) وأصحابه ، أن يسوغوا لهم شرب الماء . فقالوا : لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأً ، كما مات ابن عفان .

فلما رأى (ع) أن الموت لا محالة ، تقدم بأصحابه ، وحمل على عسكر معاوية ، حملاتٍ كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم ، بعد قتل ذريع ، سقطت منه الأيدي ، وتطايرت الرؤوس ، وملكوا عليه الماء ، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم .

فقال له أصحابه وشيعته : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ، ولا تسقهم منه قطرة ، واقتلهم بسيوف العطش ،

وخذهم قبضاً بالأيدي ، فلا حاجة لك إلى الحرب .

فقال (ع) : « لا والله ، لا أُكافئهم بمثل فعلهم ، افسحوا لهم عن بعض الشريعة ، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك .

كل ذلك جميل وحسن ، لا بل بأسمى آيات الجمال والحُسن ، إن لم يكن حلم وصفح ، فهو خلق إسلامي رفيع المستوى ، إذا نُسب إلى الدين والورع والتقى .

٤ ـ فصاحته وأخلاقه

لا أظن أن أحداً من الناس ينكر، أن علياً بن أبي طالب (ع) هو إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وقطب الإسلام لا بل موسوعة المعارف الإسلامية، وهو ركن العربية في علومها، كما هو ركن الإسلام في علومه، وهو واضع الأساس في الفصاحة والبلاغة والبيان، وإن كلامه دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين. ولقد تعلم منه الناس الخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيى: حفظتُ سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت.

وقال ابن نباتة: حفظتُ من الخطابة كنزاً، لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة: فقد حفظتُ مئة فصلٍ من مواعظ علي بن أبي طالب (ع).

ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية: جئتك من عند أعي الناس.

قال له: ويحك! كيف يكون أعي الناس؟! فوالله ما

سنَّ الفصاحة لقريشٍ غيره .

ويكفي كتاب نهج البلاغة دلالة ، على أنه لا يُجارى في الفصاحة ، ولا يُبارى في البلاغة : وحسبك أنه لم يدوّن لأحدٍ ، من فصحاء الصحابة العشر ، ولا نصف العُشر مما دون له .

لقد احتوى « نهج البلاغة » من الحقائق والدقائق ما لم يبلغ قعره فكرة وسوف نعود للكلام عنه ، في مقامٍ آخر من الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

أما أخلاقه (ع) ، فلقد ضُرب المثل في سجاحة أخلاق علي (ع) ، وبشر وجهه ، وطلاقة محياه ، وتبسمه الدائم ، حتى عابه بذلك أعداؤه حسداً : حيث قال عمرو بن العاص لأهل الشام : إنه ذو دعابة شديدة .

وقال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه : كان فينا كأحدنا ، لينُ جانب ، وشدةُ تواضع ، وسهولةُ قياد : وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط ، للسياف الواقف على رأسه .

وقال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا حسن ، فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهة .

قال قيس : نعم !! كان رسول الله (ص) يمزح ويبسم إلى أصحابه ، وكان علي مع تلك الفكاهة والطلاقة ، أهيب من ذي لبدتين ، مسه الطوى تلك هيبة التقوى .

وقد بقي هذا الخلق ، متوارثاً متناقلا ، في محبيه وأوليائه إلى الآن .

لقد خلق (ع) على سجيةٍ لطيفة ، وأخلاقٍ سهلة ، ووجهٍ طلق ، وتولٍ حسن ، وبشرٍ ظاهر ، وذلك من فضائله (ع) ، وخصائصه التي منحه الله بشرفها ، واختصه بمزيتها ، كيف لا وقد ورد في الحديث الشريف : « خصلتان لا يجتمعان في مؤمنٍ : البخل وسوء الخلق » .

وقال جل شأنه في التنزيل العزيز ، لحبيبه المصطفى (ص) : ﴿ **وإنك لعلى خلقٍ عظيم** ﴾[1] . . . وقال تعالى : ﴿ **لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[2] .

لقد كانت أخلاقه (ع) مضرب الأمثال ، لدى الكل من الكل ، يعترفون بالعجز عن الإحاطة بها ، والوقوف عليها ، ولما كان ذلك ، نكتفي بموقف واحد ، من مواقف قد لا يحصرها عد ، ولا يقف عندها حد .

فقد روي أن معاوية بن أبي سفيان ، قال لضرار بن ضمرة ، وكان في مجلسه : صف لي علياً .

قال : أو لا تعفني ؟

قال : لا أُعفيك ، بل أقسمتُ عليك لتصفنه .

قال : إذا كان لا بد من ذلك ، فإنه والله كان بعيد

---

(١) سورة القلم ، الآية ٤ . (٢) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشُن ، ومن الطعام ما جشُب ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه لنا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله : وأشهد لقد رأيته في بعضِ مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غري غيري ، أبي تعرضت ، أم إليَّ تشوقتِ ، هيهات هيهات ، طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك كبير ، وعيشك حقير : آه من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق .

فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن ، لقد كان والله كذلك . فكيف كان حزنك عليه يا ضرار ؟

فقال : حزن من ذُبح وحيدها في حجرها ، فهي لا يرقى دمعها ، ولا يخفى فجعها[1] .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٥١ دار الأندلس .
والحسيني : عبد الحسين ، سفينة النجاة مجلد ٢ ص ٥٠ و ٢٠٨ .
وابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ، المجلد ٤ ص ٢٧٦ .
والأصفهاني : محمد مهدي الموسوي ، دوائر المعارف ، ص ١٩ ط ٩٤٩ .

٥ ـ عبادته وقراءته وسياسته

لقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال : « أول الناس وروداً على الحوض ، وأولهم إسلاماً علي بن أبي طالب » .

وقال موفق بن أحمد بسنده عن سلمة بن كهيل ، عن حبة العرني ، قال : سمعت علياً (رضي الله عنه) يقول : « أنا أول من أسلم » .

وقد روي عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال : « أول من صلى معي ، علي بن أبي طالب » .

وفي المناقب بالإسناد عن أبي الزبير المكي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا عند النبي (ص) فأقبل علي (ع) ، فقال : « قد أتاكم أخي » ، ثم التفت إلى لكعبة ، فمسها بيده ثم قال : « والذي نفسي بيده ، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة » . ثم قال : « إن أولكم إيماناً معي ، وأوفاكم بعهد الله ، وأقومكم بأمر الله ، وأعدلكم بالرعية ، وأقسمكم بالسوية ، وأعظمكم عند الله مزية » قال : فنزلت : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير**

البرية ﴾[1] .

وهكذا فإن علياً (ع) كان أعبد الناس ، وأكثرهم صلاة وصوماً ، وقد تعلم منه الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد ، وقيام النافلة .

كانت حياته (ع) كلها موزعة بين العبادة والصلاة ، والذكر والفتاوى ، والعلم واختلاف الناس إليه ، في الأحكام والقضاء ، وتفسير القرآن ، وكان نهاره كله ، أو معظمه مشغولاً بالصيام ، وليله كله أو معظمه مشغولاً بالصلاة ، هذا في أيام السلم .

أما في أيام الحرب ، فكانت حياته في مباشرة الحروب ، وركوب الخيل ، وقيادة الجيوش ؛ ولقد عُرف عنه ، أن جبهته كانت كثفنة البعير لطول سجوده ، وكانت دعواته ومناجاته ، تنطوي على أسمى مقاصد الإخلاص لله ، وتعظيم الخالق ، وإجلاله سبحانه وتعالى ، فهي تتضمن أسمى مراتب الخضوع ، والخشية والخشوع ، لعزة جلال الله ، تخرج من قلب عظيم ، وتجري على لسانٍ سليم .

وأما قراءته القرآن والاشتغال به ، فقد روي عنه (ع) ، أنه أول من حفظ القرآن على عهد رسول الله (ص) ، ولم يكن غيره يحفظه ، وهو أول من جمعه ، واشتغل بجمعه بعد وفاة رسول الله (ص) وكان إمام القراء يرجعون إليه .

---

(١) القندوري : الشيخ سليمان ، ينابيع المودة ج ١ ص ٦٠ .

أما سياسته فكانت مقيدة بالشريعة ، لا يرى خلافها ، ولا يعمل إلا بمقتضاها . فكان الدين مانعاً له من سلوك أكثر السبل ، حيث دفعه (ع) ذلك إلى القول : « لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب » .

لقد مارس الإمام (ع) السلطة كواعظٍ ولم يمارسها كحاكمٍ ، لأن الحقوق الطبيعية التي أقرها الإسلام ، وأقرتها المبادىء الديمقراطية ، هي أن لكل إنسان حريته السياسية ، وإنَّ عمل المكره لاغٍ لا أثر له ، فطلاق المكره لا يعتبر طلاقاً ، وبيعة المكره لاً تعتبر بيعةً ، وكذلك في سائر العقود ، ولا رأي لمن لا يطاع .

كان الإمام (ع) رجل مبادىء تهمه الآخرة قبل الدنيا ، فلا يضحي بمبادئه من أجل منافعه ، ولا يحل لنفسه أن يتخذ أية وسيلة ، لا تتفق مع الشريعة : بينما كان مناهضو الإمام (ع) بالسياسة ، وصوليين لا تهمهم المبادىء ، بل غايتهم المنافع المادية ، وبغية الوصول إليها ، بأية وسيلة ممكنة ، بما فيها شراء الضمائر ، ولو بأموال بيت مال المسلمين ، أو الإغتيال أو الغدر أو الكذب وقتل الصالحين والأبرار .

ومما لا شك فيه ، أن من يعمل بموجب الدين ، وبأحكام شريعة سيد المرسلين (ص) ، تكون أحواله الدنيوية ، أقرب إلى التفكك والإنحلال منها إلى الانتظام .

ومن يعمل بخلاف ذلك ، فيجتهد في الأحكام ، ويفتي

في المواقف ، ولا يلتزم بقيود وضوابط ، ولا يمتنع لتقية ، تكون حياته في الدنيا أقرب إلى الصلاح والعمران .

فالإمام (ع) ، كان شديد السياسة ، خشناً في ذات الله ، ولقد أحرق قوماً في النار ، وقطع جماعة وصلب آخرين ، فلقد أحبه أهل الذمة ، رغم تكذيبهم النبوة ، وعظَّمته الفلاسفة رغم معاندتهم لأهل الملة .

٦ ـ زهده

لقد جاء في بعض الآثار ، أن ابن عباس قال وهو سائر إلى البصرة : « لقد بلغ من زهد علي بن أبي طالب (ع) في الدنيا ، أن تكون الدنيا عنده ، أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ! وأن تكون الإمرة عنده ، لا تساوي نعلاً قيمتها ثلاثة دراهم ، إلا أن يقيم حقاً ، أو يدفع باطلاً .

لقد كان في قبضة الإمام (ع) ، العراق وفارس ، واليمن والحجاز ومصر ، وكان مع ذلك يلبس الخشن ويأكل الجشب مواساة للفقراء والمساكين ويقول : « يا دنيا غري غيري ، أبي تعرضت ، أم إليَّ تشوقت ، هيهات هيهات طلقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها فعمركِ قصير وخطركِ كبير وعيشكِ حقير آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ووحشة الطريق»: وقد روي عنه (ع) أنه لم يشبع من طعام قط ، وأنه لم يخلِّف إلا سبعمئة درهم ، فضلت عن عطائه ، كان يعدها لخادم يشتريها لأهله ، حيث كان يفرق جميع ما يحتوي بيت مال المسلمين ، ثم يأمر به فيكنس ، ثم يُصلي فيه ، رجاء أن يشهد له »[1] .

---

(١) الأمين : السيد محسن ، أعيان الشيعة ج ٣ ص ٢٧ ، دار التعارف .

ومن كلامٍ له عليه السلام في الزهد ، قال :

« أيها الناس الزهادة قصر الأمل ، والشكر عند النعم ، والتورع عن المحارم ، فإن عزب ذلك عنكم ، فلا يغلب الحرام صبركم ، ولا تنسوا عند النعم شكركم ، فقد أعذر الله إليكم ، بحجج مسفرة ظاهرة ، وكتبٍ بارزة العذر واضحة »[1] .

فلقد لخص (ع) معنى الزهد بثلاثة أمور هي : قصر الأملٍ وشكر النعمة والورع عن المحارم . فالزاهد لا يُسمى زاهداً ، إلا إذا استكمل هذه الأمور الثلاثة ، وإن بعدت الأمور الثلاثة عنكم ، فتكون بأمرين : هما الورع وشكر النعم . والزهد في العرف المشهور ، هو الإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها . أما قوله (ع) : « فقد أعذر الله إليكم » أي أوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة ، ما يجب اجتنابه وما يجب فعله ، فإن خالفتم استوجبتم العقوبة .

والآثار الواردة في الزهد كثيرة ، فلقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال : « أفلح الزاهد في الدنيا ، حظي بعز العاجلة ، وبثواب الآخرة » . وأنه قال (ص) : « من أصبحت الدنيا همه وسدمه ، نزع الله الغنى من قلبه ، وصير الفقر بين عينيه ، ولم يأتِ من الدنيا ، إلا ما كُتب له ، ومن أصبحت الآخرة همه أو سدمه ، نزع الله الفقر عن قلبه ،

---

(١) ابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ، مجلد ٢ ، ص ٨٢ .

وصير الغنى بين عينيه ، وأتته الدنيا وهي راغمة » .

ولقد قال (ع) للضحاك بن سفيان : ما طعامك ؟!

قال : اللحم واللبن .

قال (ع) : ثم يصير إلى ماذا ؟

قال : إلى ما علمت .

قال (ع) : فإن الله ضرب مايخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا .

وقد نُسب لنبي الله عيسى (ع) أنه قال : « الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها » .

وقال علي (ع) : « في الجوع ثلاث خصال : حياة للقلب ، ومذلة للنفس ، ويورث العقل الدقيق السماني » .

ولقد تفرد الإمام (ع) في صفات فاضلة ومزايا كاملة ، واجتماع المحاسن فيه ، فهو ربيب رسول الله (ص) وخريجه ؛ وإن نفس علي (ع) فذة يمتنع على أي إنسان ، بعد رسول الله (ص) ، أن يحيط بجمع ما فيها من سمو ، وتمييز على سائر الخلق ، فلا يحيط بها الحصر ؛ وإذا نظرنا إلى زهده في الدنيا ، نجده قد بلغ حد الوصف ، فقد بلغ من زهده ، إلى ما سبق الكلام عليه في هذا القسم ، أن كان يرقع ثوبه ويخصف نعله بيده ، تأسياً بالمعلم الأول رسول الله (ص) ، ويكنس البيت ، ويدير الرحى ، ويستلقي على التراب ، ولم يعرف عنه أنه اقتنى ثوبين ، دفعة واحدة ، وكان يقفل على

الجريش ، لئلا يُخلط بالعسل ، وكان إذا وزَّع من بيت المال على المستحقين في خلافته ، لا يطمئن حتى يكنس بردائه أرض البيت التربة ، ثم يغربل الكناسة ، لئلا يكون داخلها بعض القطع من الدراهم أو الدنانير .

وفي الحديث : « يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها ، هي زينة الأبرار عند الله تعالى الزهد في الدنيا ، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً » .

٧ ـ سيرته

كان (ع) يُقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل، في صغار الأمور وكبارها، ودقيقها وجليلها: فكان إماماً عادلاً، وحكيماً عالِماً، وخطيباً بليغاً، وشجاعاً في الحق. ولا يشك مسلم بأن هذه الصفات، مجتمعة في شخص واحد غير علي (ع).

ومن المسلَّمات، عند جميع المسلمين، أن علياً بن أبي طالب (ع) أول غلام آمن برسول الله (ص)، وبرسالة الإسلام، فقد عاش في حجر النبي (ص)، وترعرع في مهد الرسالة، فرعاه الرسول الأعظم (ص)، ورعته السيدة خديجة، فوقف منذ اللحظة الأولى للنبوة، بجانب رسول الله (ص)، فقد فداه في مبيته على فراشه، ليلة الهجرة العظيمة، يتحدى قريشاً العاتية بحراسة ملائكة الرحمة، ثم هاجر (ع) إلى المدينة، بعد أن أكمل مهمته، التي أوكلها إليه رسول الله (ص)، وقامت الحروب في الإسلام، ضد المشركين وأعداء الدين، فحمل سيفه يحطم به عتاة قريش، ويكلم بيوت الطغاة، وكم حامى بنفسه فادياً

الرسول (ص) ، في معظم مواقع القتال .

وكان في أيام السلم عالِماً حكيماً للمسلمين ، وفقيهاً صادقاً لحديث الدين ، مصدقاً لقول رسول رب العالمين (ص) : « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها » . تفقه في القرآن ، فكان أول من حفظه ، وتفقه في السنّة فغاص في أعماقها ، وسبر غورها ، فأخذ عنه المسلمون أحكام الدين ، وسنن الشريعة ، وعاش منكراً لذاته ، زاهداً في الدنيا ، فكانت حياته مليئة بالعمل للإسلام ، ولإظهار الدعوة وانتشار الدين ، وقد احتفظ بكلمة إمام ، في عُرف جميع المسلمين ، وقد احتل المكانة الأولى في حياة الدولة الإسلامية الروحية والعسكرية .

ولقد روي عن أبي محمد ، الحسن العسكري (ع) أنه قال : « قال علي بن أبي طالب (ع) : « من كان من شيعتنا ، عالِماً بشريعتنا ، فأخرج ضعفاء شيعتنا ، من ظلمة جهلهم ، إلى نور العلم الذي حبوناه به ، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور ، يضيء لجميع أهل العرصات ، وحلة ، لا تقوم لأقل سلكٍ منها ، الدنيا بحذافيرها ، ثم ينادي منادٍ : « يا عباد الله ! هذا عالمٌ من تلامذة بعض علماء آل محمد (ص) ، ألا فمن أخرجه في الدنيا ، من حيرة جهله ، فليتشبث بنوره ، ليخرج من حيرة ظلمة هذه العرصات ، إلى نزهة الجنان » فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً ، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً ، أو أوضح له عن شبهة[1] .

---

(١) الطبرسي : أحمد بن علي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص ٧ .

٨ ـ زواجه

لقد تعددت الروايات بشأن تزويج علي (ع) بفاطمة الزهراء(ع) سيدة النساء بنت رسول الله (ص)، فقيل بعد الهجرة بسنة وقيل بسنتين وقيل بثلاثة، والرواية الراجحة عندنا هي أنه عقد عليها قبل بدر، وبنى بها عقيب عوده من بدر، وهي أول زوجاته (ع) لم يتزوج عليها، حتى توفيت عنده.

وقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال: «لولا علي لم يكن لفاطمة كفوء».

ويقول علي (ع): «أتيت رسول الله (ص)، فلما رآني ضحك ثم قال (ص): ما جاء بك؟ قال (ع): فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي».

فقال (ص): يا علي صدقت، فأنت أفضل مما تذكر.

فقلت: يا رسول الله فاطمة تزوجنيها؟

قال (ص): على رسلك حتى أخرج إليك: فدخل (ص) على فاطمة (ع) فقال: إن علياً يذكركِ، وهو

ممن عرفتِ قرابته وفضله في الإسلام ، وإني سألت ربي أن يزوجكِ خير خلقه وأحبهم إليه .

فسكتت ، فقال (ص) : الله أكبر سكوتها إقرارها ؛ وهل يمكن أن تتردد فاطمة (ع) في الرضا بأن يكون علي (ع) لها بعلاً وتكون له زوجة ، فأتاه جبرائيل فقال : يا محمد زوجها علي بن أبي طالب ، فإن الله قد رضيها له ، ورضيه لها .

قال علي (ع) : فزوجني رسول الله (ص) ، ثم أتاني فأخذ بيدي فقال (ص) : قم بسم الله ، وقل على بركة الله وما شاء الله ، ولا قوة إلا بالله وتوكلت على الله : ثم جاء بي حتى أقعدني عندها ، ثم قال : اللهم إنهما أحب خلقك إليَّ ، فأحبهما وبارك في ذريتهما ، واجعل عليهما منك حافظاً ، وإني أُعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم .

فتحققت بذلك رغبة رسول الله (ص) ، في أنه لولا علي لم يكن لفاطمة كفوء على وجه الأرض . وقد أراد الرسول (ص) باستشارة فاطمة (ع) الجري على السنَّة وتعليم المسلمين أن يستأمروا المرأة عند إرادة تزويجها ، لإظهار كرامتها[1] .

ولا بد هنا من الوقوف عند هذه الشخصية الفذة العظيمة ، فاطمة الزهراء ، الطاهرة الميمونة ، الأنسية

---

(١) كتانة : سليمان ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٨ ، دار الصادق .
الأمين : السيد محسن ـ أعيان الشيعة ، ج٣ ، ص ١٦٠ .

الحوراء ، المباركة الزكية الطاهرة ، الراضية المرضية ، المحدثة ، البتول ، الحصان ، الحرة ، أم الأئمة وأم أبيها ، أم ريحانتي رسول الله (ص) ، الصديقة الكبرى ، سيدة نساء أهل الجنة ، بضعة رسول الله (ص) يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها ، أول من يدخل الجنة ، المجاهدة ، المناضلة من أجل الحق والعدل والحرية ، التي تجسدت فيها أسمى معاني العزة والكرامة[1] .

لقد تعمَّق إيمان الزهراء (ع) بالله عز وجل ، فاحتقرت كل ما في هذه الدنيا من مظاهر برَّاقة ، هي صغرى بنات رسول الله (ص) ، من زوجه خديجة (ع) ، قيل إنها ولدت قبل أن يهبط الوحي على أبيها بخمس سنوات ، فكانت طفلة ذكية ، حساسة عاطفية ، نضجت عواطفها فسبقت عمرها . كانت حياتها هادئة ، قبل هبوط الوحي على أبيها : يضاف إلى شرف أبيها ، شرف أمها ، بحسبها ونسبها ونفسها .

عاشت فاطمة (ع) في بحبوحةٍ من العيش ، فلقد كانت أمها ذات ثروة وافرة ، تسير قوافل تجارتها بين الحجاز والشام ، ذهاباً وإياباً .

وقفت فاطمة (ع) إلى جانب أبيها وهي طفلة ، ونشأت وترعرعت في بيت عزٍ وكرامة .

لقد أكدَّ المؤرخون أن السيدة خديجة كانت أول من آمن

---

(١) المهاجر : عبد الحميد ، اعلموا أني فاطمة ، ج١ ، ص ١٣ .

بالدين ، الذي دعا إليه محمد (ص) من النساء ، وأن الإمام علياً بن أبي طالب (ع) كان أول من آمن من الغلمان ، والصديق أول من آمن من الرجال : ولا شك في أن فاطمة (ع) كانت أول من آمن من الفتيات الصغيرات ، وكان رسول الله (ص) يحرص أن يصحبها معه إلى المسجد ، ليمتلىء قلبها الصغير بالإيمان الكبير .

بعد وفاة الزهراء (ع) تزوج الإمام علي (ع) إمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وأمها زينب بنت رسول الله (ص) ، ثم تزوج أم البنين بنت حرام بن دارم الكلابية ، وتزوج ليلى ، بنت مسعود بن خالد ، النهشلية التميمية الدارمية ، وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية ، كانت تحت جعفر بن أبي طالب ، فقُتل عنها ، ثم تزوجها أبو بكر فتوفي عنها ، ثم تزوجها أمير المؤمنين : وتزوج أم حبيب بنت ربيعة التغلبية ، واسمها الصهباء ، من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد ، بعين التمر : وتزوج خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفية ، وقيل خولة بنت إياس ، وتزوج أم سعد أو سعيد ، بنت عروة بن مسعود الثقفية ، وتزوج مخبأة بنت امرىء القيس بن عدي الكلبية .

وقد ذكر الواقدي ، أن علياً (ع) قُتل وترك أربع حرائر هن : إمامة ، وليلى ، وأم البنين وأسماء .

٩ ـ أولاده

لقد كثَّر الله تعالى ، نسل علي وفاطمة (ع) بدعوة النبي (ص) لهما ليلة زفافهما بقوله : « اللهم اخرج منهما الكثير الطيب » .

وقد روي أن الإمام (ع) كان له من الولد سبعة وثلاثون ذكراً وأنثى ، وقيل : ستة وثلاثون ، ثمانية عشر ذكراً ، وثماني عشرة أنثى ، وروي خمسة وثلاثون ؛ وروي أن أولاده أربعة عشر ذكراً : الحسن والحسين ومحسن (مات صغيراً) ، أمهم فاطمة (ع) بنت رسول الله (ص) . ومحمد الأكبر ، أمه خولة بنت جعفر الحنفية . وعبيدالله وأبو بكر ، لا عقب لهما ، وأمهما ليلى بنت مسعود الحنظلية من بني تميم . والعباس وجعفر (قُتلا بالطف) ، وعثمان وعبدالله ، أمهم أم البنين بنت حرام الكلابية . وعمرو أمه أم حبيب بنت ربيعة التغلبية . ومحمد الأصغر ، لا عقب له ، أمه إمامة بنت أبي العاص . وعثمان الأصغر ويحي ، وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية . وكان له من البنات ثماني عشرة ابنة ، منهن من فاطمة (ع) ، ثلاث ، والباقيات لعدة نسوة ، وأمهات أولاد

شتى .

ولقد ذكرهم المؤرخون والنسابون على الشكل التالي :

الحسن ، الحسين ، زينب الكبرى ، زينب الصغرى المكناة أم كلثوم ، أم كلثوم الكبرى ، محمد الأوسط ، العباس ، جعفر ، عبدالله ، عثمان ، محمد الأكبر ، أبو القاسم بن الحنفية ، محمد الأصغر المكنى بأبي بكر ، عبد الله أو عبيد الله ، يحيى ، عمر ، رقية ، أم الحسن ، رملة الكبرى ، أم كلثوم الصغرى ، بنت ماتت صغيرة ، أم هانىء ، ميمونة ، زينب الصغرى ، رملة الصغرى ، رقية الصغرى ، فاطمة ، أمامة ، خديجة ، أم الكرام ، أم سلمة ، أم أبيها ، جمانة المكناة أم جعفر ، نفيسة .

فيكون عدد البنين والبنات ثلاثة وثلاثون لأمهاتٍ شتى[1] .

---

(١) الأمين : السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ج٣ ، ص ١٣ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٣١٢ .

١٠ ـ ما ورد في حقه في كتاب الله

سوف أذكر قليلاً من كثير، على سبيل المثال لا الحصر، آياتٍ من القرآن الحكيم، التي وردت بحق آل رسول الله (ص)، تنزيلاً أو تفسيراً أو تأويلاً، لتكون هداية ونبراساً لمن أراد الحق، وطلب الحكمة، حيث دلّت الأخبار الكثيرة، على أن المراد، بأهل بيت الرسول (ص)، هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

لقد وصفهم الله بقوله تعالى: ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولداً بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾[1]. وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وها هي ذي سورة الإنسان، تُتلى إلى يوم القيامة، بفضل أهل البيت (ع): ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً** ﴾. فقد نزلت هاتان الآيتان في علي وفاطمة والحسن والحسين، حين أطعموا اليتيم والأسير والمسكين، ولم

(١) الطبرسي: الشيخ أبو علي ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٧، ص ٢٠، تفسير الآيتين ٢٧ و٢٨ من سورة الأنبياء.

ينالوا شيئاً ، وهم صيام ثلاثة أيام[1] .

ولقد أراد الله لهذه العترة الطاهرة ، التطهير والتنزيه عن الخطأ والخطيئة ، فعصمهم بنص قرآني صريح ، في آية التطهير التي لا يأتيها الباطل ، ولا تقبل الشك والتأويل ، وقد دلّت الأخبار الكثيرة وأجمعت كتب التفسير على أن آية : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾[2] إنما نزلت بعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) .

كما أن آية القربى ، إنما نزلت بحق آل بيت الرسول صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين ؛ حيث قال جل شأنه : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين** ﴾[4] ؛ فلما نزلت هذه الآية ، دعا رسول الله (ص)

---

(١) الطبرسي : أحمد بن علي ـ الاحتجاج ، ج١ ، ص ١٦٥
ـ الأمين : السيد محسن ـ أعيان الشيعة ، ج٢ ، ص ٢٨١ ط٤ ، سورة الإنسان آية ٨ و٩ .

(٢) الأحزاب ٣٣ ، السيد الفيروزبادي : مرتضى الحسيني ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، ج١ ، ص٢٢٤ .

(٣) الشورى ٢٣ ، القرشي : باقر شريف ، حياة الإمام الحسين ، ج١ ، ص٦٦ ط١ .

(٤) الشيرازي : صادق الحسين ، أهل البيت في القرآن ، ص ٣٩ ، آل عمران ٦١ .

علياً وفاطمة والحسن والحسين ، وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي » فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفها ، والنبي (ص) يقول لهم : « إذا دعوت فآمنوا » ـ أي قولوا آمين ـ .

فقال أسقف النصارى : إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله ، فلا تباهلوا فتُهلكوا .

فأذعنوا للرسول (ص) وبذلوا له الجزية . فقال (ص) : « فوالذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً »[1] .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم** ﴾ وقد ذكر كثير من المفسرين أنَّ المقصود بأولي الأمر ، الأئمة من أهل البيت (ع) وأولهم علي بن أبي طالب (ع)[2] .

وقد ورد في التنزيل العزيز ، قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ، والله رؤوف بالعباد** ﴾ . فإنها إنما نزلت بعلي (ع) يوم أراد رسول الله (ص) الهجرة ، فخلف علي بن أبي طالب (ع) بمكة لقضاء ديونه ، ورد الودائع التي كانت عنده ، وأمره أن ينام على فراشه ؛ فبات

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل المجلد الأول ، صفحة ٢٤٨ .
(٢) ذات المصدر ص٥٤ (مغنية) ، مغنية : محمد جواد ، تفسير

على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة[1] .

وقد جاء في بعض الآثار عن أنس بن مالك أن آية الزكاة : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ إنما نزلت بعلي يوم تصدق بخاتمه أثناء الصلاة[2] .

---

(١) البقرة ٢٠٧ / الطبرسي : أحمد بن علي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص ١٦٠ .

(٢) المائدة ٥٥ / الفيروزبادي : السيد مرتضى الحسيني ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، ج٢ ، ص ١٨ .

١١ ـ ما ورد في حقه (ع)
في أحاديث الرسول (ص)(*)

لقد اختص الله الرسول وآل بيته ، بكراماتٍ بلغت ذروة الكمال والرفعة ، حيث جعلهم في أعلى درجاتها ، علماً وتقىً وشجاعة وكرماً وعفة ، وأخلاق فاضلة وصفاتٍ حميدة ، وإن محاسن البلاغة النبوية والإشراقة المحمدية انتقلت من رسول الله (ص) إلى أهل بيته عامة وعلي خاصة ، فأورثه الخلق العظيم ، والحكمة البالغة ، حيث يقول (ص) : « عليٌّ مني بمنزلة رأسي من بدني » ولنِعم ما قيل .

(*) شرف الدين : عبد الحسين ، المراجعات ، ص ٤٩ ، ١٦٨ ، ٢٢٦ ، ٣١٠ .
الطبرسي : أحمد بن علي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص ١٦٢ ، الفيروزبادي : السيد مرتضى الحسيني ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، ج٢ ، ص٥٣ ، وصحيح المستدرك للحاكم ج٣ ، ص٢٢٦ ، و١٥١ ، وصحيح ابن ماجة القزويني الأحاديث ، رقم ١٢١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، وصحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل في باب فضائل علي ص ٢٤ .

لذا فإن منزلة العترة الطاهرة ، آل بيت الرسول (ص) ، هي من السمو والرفعة ، بمكان لا تصل إليها فئة من البشر . فلقد جعل الله هذه الدرجة الرفيعة لآل الرسول (ص) من الكرامات عند الله ، وقد ورد ذلك على لسان الرسول (ص) ، وتناقلته كتب الأحاديث بصيغٍ شتى ، تختلف في تركيبها اختلافاً جزئياً ، يتناول الجوانب الشكلية ، وتتفق عامة المصادر والمراجع التي أوردت الأحاديث على الجوهر ، ولا أظن أن المقام يتسع لاستقصاء السنّة العديدة التي تبين مناقب ومكرمات علي بن أبي طالب (ع) لكنني سأورد قسماً منها ، قد تفي بالغاية .

لقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال : « علي بن أبي طالب باب حطة ، من دخل منه كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً » .

وقال (ص) يوم عرفات ، في حجة الوداع : « علي مني وأنا من علي ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي » .

وقال(ص) : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصى علياً فقد عصاني » .

وقال(ص) : « يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك فقد فارقني » .

وقال(ص) في حديث أم سلمة : « من سب علياً فقد سبني » .

وقال(ص) : « من آذى علياً فقد آذاني » .

وقال(ص) : « من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني » .

وقال(ص) : « يا علي أنت سيد في الدنيا ، وسيد في الآخرة ، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك من بعدي » .

وقال(ص) : « طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويلٌ لمن أبغضك وكذب فيك » .

وقال(ص) : « من أراد أن يحيا حياتي ، ويموت ميتتي ، ويسكن جنة الخلد التي وعد ربي ، فليتول علي بن أبي طالب ، فإنه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة » .

وقال(ص) : « أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل » .

وقال(ص) : « من سرَّه أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليتول علياً من بعدي ، وليوالِ وليه ، وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي ، فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويلٌ للمكذبين بفضلهم من أُمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي » .

وقال(ص) : « يا عمار ، إذا رأيت علياً قد سلك وادياً ، وسلك الناس وادياً غيره ، فاسلك مع علي ودع الناس ، فإنه لن يدلك على ردى ، ولن يخرجك من هدى » .

وقال(ص) : « كفي وكف علي في العدل سواء » .

وقال(ص) : « يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل ، اطلع إلى أهل الأرض ، فاختار رجلين ، أحدهما أبوكِ ، والآخر بعلكِ » .

وقال(ص) : « أنا المنذر ، وعلي الهادِ ، وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي » .

وقال(ص) : « أنا وهذا ـ يعني علياً ـ حجة على أُمتي يوم القيامة » .

وقال(ص) : « مكتوب على باب الجنة : لا إلاه إلا الله محمد رسول الله ، علي أخو رسول الله » .

وقال(ص) : « مكتوب على ساق العرش : لا إلاه إلا الله ، محمد رسول الله ، أيدته بعلي ، ونصرته بعلي » .

وقال(ص) : « من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه ، وإلى آدم في علمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في فطنته ، وإلى عيسى في زهده ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب » .

وقال(ص) لعلي (ع) : « إن الأمة ستغدر بك بعدي ، وأنت تعيش ملتي ، وتقتل على سنتي ، من أحبك أحبني ، ومن أبغضك أبغضني ، وإن هذه ستخضب من هذا » يعني

لحيته من رأسه .

وقال(ص) : « يا علي ستقاتلك الفئة الباغية ، وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذٍ فليس مني » .

وقال(ص) : « يا علي أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي ، وتخصم الناس بسبع أنت أولهم إيماناً ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزية » .

وقال(ص) : « يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيها أحد ، أنت أول المؤمنين بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأرأفهم بالرعية ، وأعلمهم بالقضية ، وأعظمهم مزية .

وقال(ص) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت من الباب » .

وقال(ص) : « أنا دار الحكمة وعلي بابها » .

وروى حبشي بن جنادة أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا علي » .

وروي أن معاوية كان ينتقص من علي ، فقال له سعد بن أبي وقاص : « أتقول هذا في رجلٍ سمعت رسول الله (ص) يقول فيه : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » . وسمعته يقول له : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

وقد روى البخاري أن رسول الله (ص) قال لعلي (ع) : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ » .

وقال(ص) : « أوحي إليَّ في عليٍّ ثلاث : أنه سيد المسلمين ، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين » .

وقال(ص) : « أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقين ، وسيد المسلمين ، ويعسوب الدين ، وقائد الغر المحجلين » فدخَل علي ، فقام إليه مستبشراً فاعتنقه وجعل يمسح عرق جبينه وهو يقول : « أنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي » .

وقال(ص) : « إن الله عهد إلى علي أنه راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين » .

وقال (ص) وقد أشار بيده إلى علي (ع) : « إن هذا أول من آمن بي ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهذا الصديق الأكبر ، وهذا فاروق هذه الأمة ، يفرق بين الحق والباطل ، وهذا يعسوب المؤمنين » .

وقال (ص) : « يا معشر الأنصار ، ألا أدَلُّكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً ، هذا علي فأحبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ، فإن جبرائيل أمرني بالذي قلت ، عن الله عز وجلّ » .

وقال(ص) : « علي باب علمي ، ومبين من بعدي

لأمتي ، ما أرسلت به ، حبه إيمان وبغضه نفاق » .

وقال (ص) لعلي (ع) : « أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي » .

فلقد أجمع المسلمون على أن علياً بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين (ع) هم أهل بيت رسول الله (ص) ، وأن علياً (ع) هو سيد المجاهدين ، وبطل الإسلام ، وأعلم أصحاب الرسول (ص) ، وأشدُّهم تمسكاً بالقرآن ، والتزاماً بمبادىء الشريعة ، واتباعاً لرسول الله (ص) ؛ فهو في أعلى درجات التقوى ، حيث يمثل الحياة الإسلامية الصحيحة بنهجه ومبادئه . ولقد أعطى رسول الله (ص) علياً (ع) منزلة رفيعة في أعلى مراتب الشرف والفضيلة ، وما ذلك إلا لأن لدى علي من المؤهلات ، ما ليس لدى غيره من المسلمين ؛ فهو (ع) مولى لكل مسلم ومسلمة ، والرسول (ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم بنص القرآن الكريم ، وذلك لأن قول علي (ع) وفعله يطابقان قول الرسول (ص) وفعله .

الفصل الرابع :

التعبير عن الحياة

١ ـ وقعة بدر .
٢ ـ غزوة أُحد .
٣ ـ معركة الخندق .
٤ ـ غزوة خيبر .
٥ ـ حجة الوداع .
٦ ـ وفاة الرسول (ص) .
٧ ـ قصة السقيفة .
٨ ـ في عهد الخلفاء الثلاثة .
٩ ـ حرب الجمل .
١٠ ـ وقعة صفين .
١١ ـ التحكيم والنتائج .
١٢ ـ ظهور الخوارج .
١٣ ـ وقعة النهروان .
١٤ ـ ذكر مقتله (ع) .

١ ـ وقعة بدر

كانت وقعة بدر أول حروب الرسول (ص) مع المشركين من قريش ، حيث اشتد اضطهادهم للمسلمين ، ولمن يريد الإسلام بمكة ، فمنعوهم عن الهجرة والفرار بدينهم ، حتى ضيقوا عليهم ، بقساوة الاضطهاد والحبس ، لكي يردوهم إلى شرك الوثنية وعوائد الضلال ، سيما وأنهم عرفوا أن رسول الله (ص) لا يحب إثارة الحرب ، فزاد طغيانهم لما آمنوا جانبه ، فأراد أن يرهبهم بالقوة والمنعة ، ويهددهم بالتعرض لسبيل تجارتهم إلى الشام ، لكي تلجئهم الضرورة الاقتصادية ، وحاجتهم لتجارة الشام إلى الكف عن ضلالهم ، في اضطهاد المؤمنين بمكة . فخرج رسول الله (ص) في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، على أضعف عدة ، لم يكن معهم إلا سبعون بعيراً ، يتعاقبون عليها ؛ وقد ذكر الرواة أن النبي (ص) لم يختص ببعيرٍ وحده ، فكان يتعاقب هو وعلي بن أبي طالب (ع) ، ومرثد بنً أبي مرثد ، فقصدوا قافلة لقريش فيها تجارتهم ، وهي ذاهبة إلى الشام ، مع أبي سفيان بن حرب وأصحابه ، وكان في العير أربعون راكباً من قريش ، ولما سمع

رئيس القافلة أبو سفيان الخبر ، أرسل إلى مكة يستصرخ قريشاً لتخليصها ، فخرجوا بعدة كاملة من الخيل والسيوف والدروع ، وكانوا نحو ألف رجل ؛ واتفق أن قافلة قريش ، نجت من محمد (ص) وأصحابه ، لكن قريشاً لم يكتفوا بنجاة قافلتهم ، بل قصدوا محمداً وأصحابه ، اغتراراً بكثرة عددهم ، وقوة عدتهم ، وقد منعهم عقلاؤهم عن قصد محمد (ص) ، فلم يقبلوا حتى التقوا مع المسلمين ، في مكان يُسمى بدراً ؛ وبدر اسم بئر كانت لرجلٍ يدعى بدراً ، وابتدأوا بالقتال . فانتصر المسلمون انتصاراً باهراً ، وقتلوا من صناديد قريش سبعين ، وأسروا سبعين ، ورجعت قريش إلى مكة بالإنكسار ، وكانت أولى غزوات رسول الله (ص) ، تمهدت بها قواعد الدين ، وأعزَّ الله بها الإسلام ، وأذلَّ جبابرة قريش ، وأوقعت في قلوب العرب واليهود هيبة من المسلمين ، وأنزل الله تعالى فيها سورة الأنفال .

ولقد كانت معركة بدر ، امتحاناً لقوة اتباع الدين ، حيث كان كثير من أصحاب رسول الله (ص) ، كارهين للخروج خوفاً من قريش ، وكثرتها بشاهد القرآن : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأن فريقاً من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعدما تبين لهم كانما يساقون إلى الموت وهم ينظرون** ﴾[1] . ووعد الله تعالى رسوله إحدى الطائفتين ، العير أو النفير ، وكانوا يودون العير ، وأن لا تكون حرب ،

---

(١) سورة الأنفال ، الآيتان ٥ و٦ .

حباً بالعاجل ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** ﴾[1] .

ولم يكن أحد يقدر خطورة الموقف ، إلاَّ الرسول (ص) ، فوقف رافعاً أكف الضراعة لله سبحانه وتعالى قائلاً : « اللهم هذه قريش قد أتت ، بخيلائها وفخرها ، تحاول أن تُكذب رسولك ، اللهم أحنهم الغداة . اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد »[2] .

فنزل قوله تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾[3] .

لقد كان الدفاع الإسلامي يرتكز في هذه المعركة على ثلاثة مقومات رئيسية هي :

١ ـ شخصية رسول الله (ص) ، وقيادته المثلى ، وثباته غير المضارع ، حيث كان للإسلام والمسلمين في بدر ، وفي

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٧ .

(٢) صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري ، كتاب الجهاد ، رقم الحديث ٥٨ ، وصحيح محمد بن عيسى الترمذي في تفسير سورة ٨ ، رقم الباب ٣ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ـ مجلد رقم١ ص٣٠ و٣٢ و١١٧ .

(٣) الأمين : السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ج٢ ، ص ٩٤ ط٤ ، والأنفال ٩ .

كل معركة شهدها بنفسه ، ملجأً أميناً ودرعاً واقياً .

٢ ـ عشيرة الرسول (ص) وعلى رأسهم علي بن أبي طالب (ع) ، الذي دخل هذه المعركة مغموراً ، وخرج منها مشهوراً ، تتحدث عن بطولاته الركبان ، في طول شبه الجزيرة العربية وعرضها . فقد أرسله الرسول (ص) مع الزبير وجماعة ، يتجسسون على الماء ، فوجدوا روايا قريش ، فيها سقاؤهم فأسروهم . كما جاء في السيرة الحلبية ، أن رسول الله (ص) دفع رايته إلى الإمام علي (ع) يوم بدر وهو ابن عشرين سنة ، وعقد (ص) يوم بدر لواءً أبيض ، ودفعه لمصعب بن عمير ؛ وكان أمامه (ص) رايتان سوداوان ، أحدهما مع علي بن أبي طالب (ع) والأخرى مع سعد بن معاد ؛ وكان علي (ع) أصغر القوم يومذاك ، وقد أبلى في المعركة بلاءً حسناً .

وذكر الواقدي أن علياً (ع) قتل حنظلة بن أبي سفيان ، والعاص بن سعيد بن العاص ، وعقبة بن معيط ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة ، وعامر بن عبدالله ، وسعد بن معاذ ، وطعيمة بن عدي ، والحارث بن زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وزيد بن مليص ، وعمير بن عثمان ، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد ، ومسعود بن أبي أمية ، وعبد الله بن أبي رفاعة ، وحاجز بن السائب ، وعويمر بن السائب ، وأوس بن المغيرة بن لوذان ، ومنبه بن الحجاج ، ونبيه بن الحجاج ، والعاص بن منبه بن الحجاج ،

وأبو العاص بن قيس .

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج : إن علياً قتل يوم بدر ، أربعة وعشرين رجلاً ، وقد ذكرت الرواية أن المقتولين ببدر كانوا سبعين .

ولم نجد في التاريخ ، حادثة غزو انتصافية ، قام بها النبي (ص) إلا وكان في مقدمة جيشه ، واحد من أهل بيته ، كحمزة أسد الله ، وعلي حامل لوائه ، وما من واقعه إلا وأثبتت أن علياً بن أبي طالب (ع)، الذي هو نفس محمد (ص) ، كان أول من يطرح نفسه ، على مد الوغي المتأجج ، لاستئصال شأفة الكفر ـ أصل الكفر ـ وتثبيت دعائم الحق .

٣ ـ أصحاب رسول الله (ص) ، الذين يمثلون جيش الإسلام ، وخط دفاعه الأول ، والجدار الواقي لرسول الله (ص) . فهم المدافعون والمهاجمون الذين عمرت قلوبهم بالإيمان ، ففاضت تضحية وفداءً ؛ وكانوا يرون الإستشهاد فوزاً ، يعادل الحياة مع الإنتصار .

٢ ـ غزوة أُحُد(*)

لما رجع مَن حضر بدراً من المشركين إلى مكة ، وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان موقوفة في دار الندوة ، مشت أشراف قريش إلى أبي سفيان ، ومن كانت له من قريش تجارة في تلك العير ، فقالوا : يا معشر قريش ! إنَّ محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأرنا ، بمن أصاب منا ، ونحن طيبو النفوس ، على أن يجهزوا بربحٍ هذه العير جيشاً إلى محمد .

فقال أبو سفيان : أنا أول من أجاب إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معي . وكانت العير ألف بعير ؛ فباعوا أموالها ، فصارت ذهباً خمسين ألف دينار ، فجعلوا لذلك ربح المال فقط ، وسلموا لأهلها رؤوس أموالهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم الدينار ديناراً ، فكان ربحها خمسة وعشرين ألف دينار . وقد نزلت فيهم الآية : ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**

(*) كنز العمال ج١٥ ص١٢٦ حديث رقم ٣٦٤ . والحسيني : السيد مرتضى ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، ج٢ ، ص٢١٧ .

والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾[1] .

وأرسلت قريش رسلها إلى العرب يدعوهم إلى نصرهم وخذلان محمد (ص) ، فأعدت من الرجال والعتاد ، ما لا قبل للمسلمين به ، وأذكت نار البغضاء المتأججة في صدور رجالها ، وألهبت النفوس بالحماس ، لغسل عار الهزيمة ، ونادت للأخذ بالثأر لقتلاها ، فأعدت العدة الكافية ، وخرجت مع من والاها ، من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وقد بلغ جيش الثأر ، ثلاثة آلاف مقاتل ، ومئتا فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، ومنهم سبعمئة دارع وخمس عشرة امرأة ، بعدةٍ وسلاح كثير ، زحفوا إلى أُحد ، وهو جبل من جبال المدينة على نحو ميلين أو ثلاثة منها ، لسبعٍ خلون من شوال ، وقيل للنصف منه ، يوم السبت ، سنة ثلاث من الهجرة ، وهنالك كانت المعركة المنتظرة .

وقد عقد الرسول (ص) ثلاثة ألوية : لواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب (ع) ، ولواء الأوس بيد أسيد بن حضير ، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر ؛ وركب (ص) فرسه وأخذ بيده قناة ، وخرج في ألف من أصحابه ، فيهم مئة دارع ، ومعهم فرسان : فرس رسول الله (ص) ، وفرس لأبي بردة بن نيار ، والظاهر أنهم خرجوا مشاة . ومضى رسول الله (ص) حتى أتى أُحُداً ، فجعلها خلف ظهره ، واستقبل المدينة ، وأقبل المشركون ، فاستدبروا المدينة في

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٣٦ .

الوادي ، واستقبلوا أُحداً ، وصفوا صفوفهم ، وعبأ رسول الله (ص) أصحابه للقتال ، وأعدهم للمعركة ، فجعل ميمنة وميسرة ، وجعل يمشي على رجليه يسوي الصفوف ، ويبوء أصحابه مقاعد القتال ، فيقدم فلاناً ويؤخر فلاناً ، يقومهم في الصفوف ؛ ويعطي كلَّ فردٍ منهم دوره في المعركة ، وكانت رايته (ص) في هذه المعركة ، بيد علي بن أبي طالب (ع) . ثم بدأت المعركة ، حيث تحدى طلحة بن أبي طلحة العبدري المسلمين ، قائلاً : هل من مبارز ؟!

فكان المُجيب علياً بن أبي طالب (ع) ، فالتقيا بين الصفين ؛ فبدره علي (ع) بضربة فلقت هامته ، اغتبط النبيَّ (ص) لها وكبرَّ ، وكبرَّ معه المسلمون لمصرعه . وكان قد استقبل الإمام بعورته عند مصرعه فانصرف عنه الإمام وهو يعلم أن الله سيقتله وهكذا كان .

وسرَّ الرسول (ص) لمقتل طلحة ، صاحب لواء المشركين . ثم شد بعد ذلك أصحاب رسول الله (ص) على كتائب المشركين حتى انتقضت صفوفهم .

ومما لا شك فيه أن علياً (ع) قتل حَمَلة الألوية جميعاً في هذه المعركة ، وعددهم تسعة ، انهزم القوم بعدهم ، وطارت مخزوم فضحها علي (ع) .

ويروى أن راية قريش كانت مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار ، فبرز ونادى : يا محمد ، تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار ونُجهزكم بأسيافنا إلى لجنة ،

فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليَّ .

فبرز إليه أمير المؤمنين علي (ع) . فقال له طلحة : من أنت يا غلام ؟! .

قال : علي بن أبي طالب .

قال : قد علمت أنه لا يجسر عليَّ أحد غيرك ، وشد عليه طلحة فضربه ، فاتقاها علي (ع) . ثم ضربه علي (ع) على فخذيه فقطعهما ، فسقط على ظهره وسقطت الراية ، فذهب علي (ع) ليجهز عليه ، فخلَّفه ، فانصرف عنه ؛ فقال المسلمون : ألا أجهزت عليه ؟! .

قال (ع) : قد ضربته ضربة لا يعيش معها أبداً .

ثم أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي (ع) ، وسقطت رايته إلى الأرض ، فأخذها عثمان بن أبي طلحة ، فقتله علي (ع)، وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها مسافع بن أبي طلحة ، فقتله علي (ع) وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي (ع) وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها أبو عزيز بن عثمان ، فقتله علي (ع) ، وسقطت الراية . . . فأخذها عبد الله بن أبي جميلة بن زهير ، فقتله علي (ع) ، وسقطت الراية إلى لأرض ، فقتل أمير المؤمنين (ع) التاسع من بني عبد الدار ، وهو أرطأة بن شرحبيل ، فبارزه علي (ع)وقتله ، وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها مولاهم صواب .

ولقد جاء في الرياض النضرة لمحب الدين ما يلي :

« لما قتل علي (ع) يوم أُحد أصحاب الألوية ، قال جبرائيل : يا رسول الله ، إن هذه لهي المواساة .

فقال النبي (ص) : إنه مني وأنا منه .

فقال جبرائيل : وأنا منكما » .

وروى الطبري ، ما يدل على أن الذي قتل أصحاب الألوية ، هو علي بن أبي طالب (ع) ؛ فكان (ع) كلما حمل لواء المشركين رجل ، يقتله الإمام حتى انتهى لواء المشركين إلى غلام اسمه صواب ، ضربه (ع) على يمينه فقطعها وسقطت الرايةً إلى الأرض ، فأخذها بشماله ، فضربه (ع) على شماله ، فقطعها وسقطت الراية إلى الأرض ، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ثم قال : يا بني عبد الدار هل أعذرت فضربه (ع) على رأسه فقتله . فسقط اللواء ولم يزل مطروحاً ، حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش فلاذوا به .

ومما يجدر ذكره ، أن علياً (ع) لما قتل أصحاب الألوية ، بصر رسول الله (ص) جماعة من المشركين ، فقال لعلي : أحمل عليهم .

فحمل (ع) عليهم ففرق جماعتهم ، وقتل شيبة بن مالك ، أحد بني عامر بن لؤي .

ولما انهزم المشركون ، تبعهم المسلمون ، يضعون السلاح

فيهم ، حيث شاءوا حتى أخرجوهم عن المعسكر ، ووقعوا ينتهبون ويأخذون ما فيه من الغنائم ، وخلُّوا الجبل ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تُحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضلٍ على المؤمنين** ﴾[1] .

ولما رأى المشركون ما كان من أمر المسلمين ، رجعوا من هزيمتهم وكرُّوا على المسلمين نحو من سبعين رجلاً ، وتفرقوا في كل وجه ، وتركوا ما انتهبوه ، فأخذه المشركون ، وتركوا ما بأيديهم من أسراء المشركين .

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله (ص) ومعه لواؤه حتى قُتل ، قتله ابن قميئة الليثي ، وهو يظنه رسول الله (ص) ، فرجع إلى قريش وهو يقول : قتلت محمداً . فجعل الناس يقولون : قُتل محمد .

فلما قُتل مصعب بن عمير ، أعطى رسول الله (ص) اللواء إلى علي بن أبي طالب (ع) ، وتفرق أكثر أصحاب رسول الله (ص) عنه ، وقصده المشركون ، وجعلوا يحملون عليه يريدون قتله ، وثبت رسول الله (ص) ما يزال يرمي عن قوسه حتى تكسرت ، وقاتل قتالاً شديداً ، فرمى بالنبل حتى

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٨ .

فني نبله ، وانكسرت قوسه ، وانقطع وتره ، ولم يثبت معه إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وأبو دجانة ، وسهل بن حنيف ، يدفعون عنه (ص) ، ففتح عينيه وكان قد أُغمي عليه ، مما ناله ، فقال : يا علي ، ما فعل الناس ؟!

قال : نقضوا العهد وولوا الدبر .

قال : اكفني هؤلاء الذين قصدوا قصدي .

فحمل عليهم علي (ع) فكشفهم ، وعاد عليهم وقد حملوا عليه من ناحيةٍ أخرى ، فكرَّ عليهم فكشفهم ، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأس رسول الله (ص) ، بيد كل واحد منهما سيف ليذب عنه .

وكان قد أصاب رسول الله (ص) حجر فكسر أنفه ، وربا عينه ، وشقَّ شفته ، وشجه في وجهه ، وسال الدم على وجهه ، فمسحه وقال : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل »[1] .

وكانت أم أيمن ، حاضنة رسول الله (ص) ونساء من الأنصار يسقين الماء ، ووقعت هند وصواحبها على القتلى من أصحاب رسول الله (ص) يمثلن بهم ، يجدعن الآذان والأنوف ويصنعن منها خلاخيل وقلائد ، وبقرت هند عن كبد حمزة

---

(١) صحيح ابن ماجة القزويني ، كتاب الفتن رقم الحديث ٢٣ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد رقم ٣ ، ص ١٧٩ و٢٠٦ .

فلاكتها ، فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها .

وروي عن الرسول (ص) ، أنه لما وقف على عمه حمزة بكى ، لما أصابه ، ثم قال : « لن أُصاب بمثلك ، ما وقفت موقفاً أغيظ عليَّ من هذا الموقف . . . لئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين ـ وفي رواية ـ بسبعين رجلاً منهم » .

وقال المسلمون : لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾[1] .

فعفا (ص) وصبر ونهى عن المثلة .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٦ .

٣ ـ معركة الخندق(*)

سُميت معركة الخندق ، نسبة إلى الخندق الذي حفره المسلمون حولهم ، يحتمون فيه من أعدائهم ، الذين تألبوا لقتالهم ، وقد أشار سلمان الفارسي ، على الرسول (ص) ، بحفر الخندق قائلاً : إنا كنا بفارس ، إذا حوصرنا خندقنا علينا .

أُعجب الرسول (ص) والمسلمون برأي سلمان الفارسي ، واشترك في حفر الخندق جميع المسلمين ، بمن فيهم الرسول (ص) ، الذي عمل معهم بيده تنشيطاً لهم ، ودامت مدة الحفر ستة أيام ، وقيل أكثر .

كما سُميت معركة الأحزاب ، وسبب التسمية ، أن أحزاباً اتحدت في ثلاثة عساكر ، اجتمعت لقتال المسلمين في هذه المعركة ، هم : بنو النضير ، وبنو سليم ، وقريش ؛ جاءوا بعشرة آلاف فارس .

ولما فرغ الرسول (ص) والمسلمون من حفر الخندق ،

(*) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص ٦٥ ط صادر .

وأقبلت الأحزاب بعساكرها ، أُعجبت قريش برأي سلمان الفارسي ، واختلف المهاجرون والأنصار ، كل يقول منا ، فقال رسول الله (ص) : « سلمان منا أهل البيت » .

وفي يوم الاثنين ، لثمان ليالٍ مضين من ذي القعدة ، خرج رسول الله (ص) في ثلاثة آلاف ، وعسكر بهم إلى سفح جبل فوق المدينة ، فجعل الجبل خلف ظهره ، والخندق بينه وبين القوم . وهنا تجدر الإشارة إلى أن الخندق لم يكن على جميع جهات المدينة ، بل من الجهة التي هي غير خصبة ، حيث كانت الجبهات الباقية مشبكة بالنبات والنخيل ، لا يتمكن العدو منها .

وجاءت الأحزاب يجيلون خيلهم ، يتفرقون مرة ويجتمعون أخرى ، يناوشون أصحاب رسول الله (ص) ، ويقدمون رماتهم فيرمون ، إلى أن اجتمع رؤساء الأحزاب ، وطلبوا مضيقاً من الخندق ، يقحمون منه خيلهم إلى النبي (ص) وأصحابه ، فلم يجدوا ذلك ، قالوا عندها : إن هذه المكيدة ما كانت العرب لتضعها .

فقيل لهم : إن معهم رجلاً فارسياً ، أشار عليهم بذلك ؛ وقد وقف عمرو بن عبد ود العامري ، على مكانٍ ضيق أغفله المسلمون ، وجعل يدعو إلى البراز ويقول :

ولقد بححتُ من الندا
ء لجمعهم هل من مبارز ؟

اشتد البلاء على المسلمين ، ورأى الرسول (ص) ضعف قلوب أكثرهم ، وقد وصف القرآن الموقف ، بقوله تعالى : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً** ﴾[1] .

عندها قام علي (ع) ، فقال : « أنا له يا رسول الله » ، ولم يكن علي ليبارز دون أن يستأذن الرسول (ص) .

فقال الرسول (ص) لعلي (ع) : « اجلس إنه عمرو » .

ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول لهم : أين جنتكم التي تزعمون ، أنه من قتل دخلها ؟! أفلا يبرز إليَّ رجل ؟

فقام علي (ع) وهو مقنع في الحديد ، فقال : « أنا له يا رسول الله » .

قال (ص) : « اجلس إنه عمرو) .

ثم نادى الثالثة .

فقام علي وقال : « أنا له يا رسول الله » .

فقال (ص) : انه عمرو بن عبد ود ! » .

فقال (ع) : وأنا علي بن أبي طالب .

فأذن رسول الله (ص) له ، وأعطاه سيفه وعممه ، وقال (ص) : « اللهم أعنه عليه ؛ إلهي أخذت عبيدة في يوم

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ١٠ و١١ .

بدر ، وحمزة يوم أُحد ، وهذا علي أخي وابن عمي ، فلا تذرني فرداً ، وأنت خير الوارثين » .

ثم برز إليه علي (ع) ، ودنا منه ، فقال له عمرو : من أنت ؟!

قال : أنا علي .

قال : ابن عبد مناف ؟ .

قال : أنا علي بن أبي طالب .

فقال : غيرك يا بن أخي من أعمامك ، من هو أشد منك فانصرف ، فإني أكره أن أريق دمك ، فإن أباك كان لي صديقاً ، وكنتُ له نديماً .

قال علي (ع) : لكني والله لا أكره أن أُريق دمك ؛ يا عمرو قد كنت تعاهد الله لقريش ، أن لا يدعوك رجل إلى خلتين ، إلا قبلت منه إحداهما .

قال : أجل ! .

قال (ع) : فإني أدعوك إلى الله عز وجل ، وإلى رسول الله (ص) والإسلام .

فقال : لا حاجة لي في ذلك .

فقال (ع) : فإني أدعوك إلى البراز .

وعلى قولٍ أن علياً قال لعمروٍ : إنك كنت تقول : لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها .

قال : أجل !

قال (ع) : فإني أدعوك أن تشهد أن لا إلاه إلا الله وأن محمداً رسول الله وتسلم لرب العالمين .

قال : يا بن أخي أخِّر عني هذه .

قال (ع) له : أما أنها خيرٌ لك لو أخذتها .

قال : وأخرى .

قال (ع) : ترجع إلى بلادك ، فإن يكُ محمد صادقاً كنت أسعد الناس به ، وإن يك كاذباً ، كان الذي تريد .

قال : هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً . ثم قال : فالثالثة ؟

قال (ع) : البراز .

قال : إن هذه لخصلة ، ما كنتُ أظن أن أحداً من العرب يروعني بها ، ولِمَ يا بن أخي ؟ ! فوالله ما أحب أن أقتلك .

قال (ع) : والله أحب أن أقتلك . فحمي عمرو .

فقال له(ع) : كيف أُقاتلك وأنت فارس ، ولكن أنزل معي .

فاقتحم عن فرسه فعقره ، أو ضرب وجهه وسل سيفه ، كأنه شعلة نار ، وأقبل على علي (ع) ، فتنازلا وتجاولا ، فاستقبله علي (ع) بدرقته ، فضربه عمرو فيها ، فقدها وأنبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجه ؛ فضربه علي (ع) على حبل عاتقه فسقط ، فثارت غبرة وسُمع علي يكبر ؛ وكبرَّ

المسلمون .

ولما سمع رسول الله (ص) التكبير ، عرف أن علياً قتل عمرواً ؛ ولما قُتل عمرو ، هرب الذين كانوا معه ، حتى اقتحمت خيلهم من الخندق .

وقد روي أن المشركين بعثوا إلى رسول الله (ص) يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف درهم فقال (ص) : هو لكم ، ولا نأكل ثمن الموتى .

وقد جاء في بعض الآثار ، أنه بعدما قتل عليٌّ (ع) عمرواً أقبل نحو رسول الله (ص) ووجهه يتهلل ، فقيل له : هلاَّ سلبته يا علي درعه ؟ فإنه ليس في العرب درع مثلها !

فقال (ع) إني استحييت أن أكشف سوءة ابن عمي .

وهنا ينبغي أن نشير ، إلى أن شرف النفس ، والإباء والعزة ، وكرم الغلبة ، إلى جانب البطولة النادرة ، التي ظهرت ، وتجلّت في موقف الإمام (ع) في هذا المقام .

إن وقوف عمروٍ ، ينادي بالمسلمين ، ويقرعهم ويطلب البراز ، ولا يجيبه أحد إلا علي (ع) حيث يقتل عمرواً ، وينهزم المشركون لقتله ، ويرتفع البلاء ويأتي الفرج ؛ إن عملاً كهذا لهو أعظم أجراً عند الله من العبادة ، حيث ورد في الحديث أن رسول الله (ص) ، قال : « قتل علي لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين » .

وجاء في حديثٍ آخر : « لمبارزة علي بن أبي طالب

لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي إلى يوم القيامة » . فلولا تلك الضربة ، وذلك الموقف الكريم ، لما عُبِدَ الله بل عُبِدَت الأوثان .

وقد أثبت علي (ع) أن ما حدث في معركة الأحزاب كان نواة الأمة الإسلامية ، والحجر الأساس في بناء الشريعة التي لم يكن لها بديل على الأرض ولا مثيل .

٤ ـ غزوة خيبر(*)

لقد تواترت الأخبار ، وكثرت الأسناد ، وتعددت الروايات ، فاختلفت في الشكل ، غير أنها اتفقت في الجوهر والمضمون ، على أن غزوة خيبر كانت في جماد الأولى وقيل في المحرم سنة سبع من الهجرة ؛ وقد سميت باسم رجل من العماليق ؛ وكلمة خيبر بلسان اليهود تعني الحصن ، وهي مدينة كبيرة ، ذات حصون ومزارع ونخل كثير . كان الرسول (ص) قد غزاهم ، يدعوهم إلى الإسلام ، أو قبول الجزية أو الحرب ، فلما لم يسلموا ، ولم يقبلوا الجزية ، حاربهم . وكان المسلمون في هذه الغزاة ألفاً واربعمئة ، والخيل مئتا فرس .

وقد روي أن رسول الله (ص) ، لما نزل بحضرة خيبر ، دفع الراية إلى إلى أبي بكر (رض) وكانت بيضاء ليقاتل ،

(*) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ١٨١ ، وابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص ١٠٦ ، الأمين : السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ج٢ ، ص ١٥٩ ، اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٥٦ .

فرجع ولم يك فتح وقد جهد ؛ ثم بعث الغد عمر بن الخطاب (رض) فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد ؛ فقال رسول الله (ص) : « لأعطين اللواء غداً ، رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار ، يفتح الله على يديه ، يأخذها عنوة » .

فتطاولت لها قريش ، ورجا كل واحد منهم ، أن يكون صاحب ذلك ؛ فأصبح ، فجاء علي (ع) على بعيرٍ له ، حتى أناخ قربها ، من خباء رسول الله (ص) وهو أرمد ، وقد عصب عينيه بشقة برد قطري ؛ فقال رسول الله (ص) : « مالك ؟ ! » .

قال (ع) : رمدت .

فقال (ص) : « ادن مني » . فدنا منه ، فتفل في عينه ، فما اشتكى وجعهما حتى مضى لسبيله ، فألبسه درعه ، وشد ذا الفقار في وسطه ، ثم أعطاه الراية ، فنهض بها معه ، ووجهه إلى الحصن ، وقال : « قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك »[1] .

---

(١) صحيح مسلم ، فضائل الصحابة رقم الحديث ٣٤ و٣٥ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد الأول ص ٤٥٨ ، والمجلد الثاني ص٤٨٤ ، والمجلد الخامس ، ص ٢٢٣ ، وصحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، رقم الباب ١٠٢ ، وكتاب المغازي رقم ٣٨ ، وكتاب فضائل أصحاب النبي ص ٥٩٩ .

فسار قريباً ثم نادى : « يا رسول الله ، علامَ أقاتل ؟ ! » .

قال (ص) : حتى يشهدوا ألاّ إلاه إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك ، فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حمر النعم تتصدق بها في سبيل الله »[1] .

فأتى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن ، يخطر بسيفه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي (ع) :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة
كليث غاباتٍ كريه المنظرة
أكيلهم بالصاع كيل السندرة

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد ، رقم الباب ١٠٢ و١٣٠ و٤٥ وكتاب فضائل أصحاب النبي (ص) ، رقم ٩ وكتاب المغازي رقم ٣٨ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل المجلد ٥ ، ص ٢٣٨ و٣٣٣ ، والمجلد ٤ ص ١٠١ . وصحيح مسلم ، فضائل الصحابة رقم الحديث ٣٥ .

فاختلفا ضربتين ، فبدره علي(ع) بضربة ، ففلق هامته ، حتى أخذ السيف في الأضراس[1] وتم الفتح على يدي علي (ع) .

ولما ظهر النبي (ص) على خيبر ، صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم ليس لهم بيضاء ولا صفراء . ولما أفاء الله على رسوله (ص) خيبر ، قسمها على ستة وثلاثين سهماً ، فأخذ لنفسه ثمانية عشر سهماً ، وقسَّم بين الناس ثمانية عشر سهماً .

وهكذا فقد كانت معركة خيبر ، معركة قصيرة بالنسبة للمسلمين وأعدائهم ؛ فقد واجه المسلمون فيها عدواً خطراً ، كاد أن يهزمهم ، لولا بروز معجزتين خارقتين هما : شفاء عين على (ع) ، ونبوءة رسول الله (ص) بأن الرجل الذي سيقود المعركة سيكون الفتح على يديه .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص ١١٢ ، ط بيروت ، ١٩٥٧ .

ـ ٥ : حجة الوداع(*)

سُميت حجة الوداع ، لأن الرسول (ص) لم يحج بعدها ؛ وقيل لأن الرسول (ص) ودع فيها الناس ، حيث أعلمهم بدنو أجله ، وكذلك سُميت حجة الإسلام .

لما أراد الرسول (ص) التوجه إلى الحج ، سنة عشر من الهجرة ، أذَّن في الناس بالحج ، وبلغت دعوته ، إلى أقاصي بلاد الإسلام ، فتجهز الناس للخروج معه ، وحضر المدينة من ضواحيها ، ومن حولها خلق كثير ، وتأهبوا للخروج . فخرج رسول الله (ص) بهم يوم الخميس وقيل يوم السبت ، لخمس بقين من ذي القعدة . وقد ذكر الرواة ، أنه خرج مع الرسول (ص) ، أربعون ألفاً وتعددت الروايات بعدد من حجَّ مع رسول الله (ص) بهذه الحجة ، حتى بلغت في إحدى الروايات مئة وعشرون ألفاً أو أكثر . وكاتب (ص) علياً (ع) بالتوجه إلى الحج من اليمن ، ولما قارب رسول الله (ص) مكة من طريق المدينة قاربها علي (ع) من طريق اليمن ، وسبق

(*) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٥٣ .

عليٌّ (ع) الجيش للقاء النبي (ص)، وخلَّف عليهم رجلاً منهم، فأدرك النبي (ص) وقد أشرف على مكة، فسلَّم عليه، فسرَّ الرسول (ص) وابتهج بلقائه. ولما أتم رسول الله (ص) حجه، وقضى مناسكه، قفل راجعاً إلى المدينة، فوصل إلى الموضع المعروف بـ« غدير خم » يوم الثامن عشر من ذي الحجة، سنة عشرٍ من الهجرة، وفي هذه البقعة المباركة، نزل الوحي إلى الرسول (ص)، بنصبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، خليفة في الأمة الإسلامية من بعده، لقد شاء الله تبارك وتعالى ذلك، قبل أن ينفصل عن موكب الحجيج كثيرٌ من الناس، إلى بلدانهم وبَوَاديهم، فأراد الله أن يجمعهم لسماع النص وتأكيد الحجة، حيث نزل قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾[1]، فأكد الفرض عليه، وخوفه من

---

(١) المائدة ٦٧ / الطبرسي: الشيخ أبو علي، مجمع البيان في تفسير القرآن ج٦ ص١٥٣ يقول: ثم أمر سبحانهِ نبيه بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة، فقال (يا أيها الرسول) وهذا نداء تشريف وتعظيم (بلغ) أي وصل إليهم ﴿ **ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ باسناد مرفوع إلى ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في علي (ع) فأخذ رسول الله (ص) بيده فقال: « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه » وقد نزلت هذه الآية تشجيعاً للرسول (ص) كي لا يكتم هذا التبليغ: والله يمنع الناس أن ينالوا الرسول بسوء إذا قالوا حابى ابن عمه وطعنوا في ذلك.

تأخير التبليغ ، وضمن له العصمة ، ومنع الناس منه .

فنزل (ص) بذلك المكان ، ونزل المسلمون حوله ، وكان يوماً شديد الحرّ ، فأمر بجمع الرِّحال ، ووضع بعضها فوق بعض ، ثم أمر مناديه فنادى في الناس ، الصلاة جامعة فاجتمعوا ، ولما اجتمعوا ، صعد (ص) على تلك الرحال ، حتى صار في ذروتها ، ودعا (ص) أمير المؤمنين (ع) فرقي معه ، حتى قام عن يمينه ثم خطب في الناس :

حمد الله وأثنى عليه ، ووعظ فأبلغ في الموعظة ، ونعى إلى الأمة نفسه ، وقال : « إني قد دُعيت ويوشك أن أُجيب ، وقد حان مني خفوق من بين أظهركم ، وإني مخلِّفٌ فيكم ، ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » . . . ثم نادى بأعلى صوته : « أَلست أولى بكم منكم بأنفسكم ؟ » قالوا : اللهم بلى . فقال (ص) لهم على النسق ، وقد أخذ بضبعي أمير المؤمنين (ع) فرفعهما ، حتى بان بياض إبطيهما : « فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » .

ثم نزل وكان وقت الظهيرة ، فصلى ركعتين وكانت قد زالت الشمس ، فأذن المؤذن لصلاة الظهر ، فصلى بهم الظهر ، وجلس في خيمته ، وأمر علياً (ع) أن يجلس في خيمة بإزائه ، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً ، يهنئوه بالمقام ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين . وكان فيمن أطنب

في تهنئته بالمقام ، عمر بن الخطاب (رض) ، وأظهر له من المسرَّة به وقال فيما قال : بخٍ بخٍ لك يا علي ، أصبحت مولايَّ ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ .

وجاء حسان بن ثابت ، فقال : يا رسول الله ، أتأذن لي أن أقول في هذا المقام ما يرضاه الله ؟ .

فقال (ص) : قل يا حسان على اسم الله .

فوقف على نشزٍ من الأرض ، وتطاول المسلمون لسماع كلامه فأنشأ يقول :

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخمٍ وأسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا
ولن تجد منا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني
رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنتُ مولاه فهذا وليه
فكونوا له أنصار حقٍ مواليا
هنا دعا اللهم والِ واليه
وكن للذي عادى علياً معاديا

فقال له رسول الله (ص) : لا تزال يا حسان مؤيداً

بروح القدس ، ما نصرتنا بلسانك .

وهكذا فقد عهد رسول الله (ص) أمام عشرات الألوف من الحجاج ، بولاية أمور المسلمين ، بعده لعلي (ع) ، بأمرٍ من السماء ، وبنصٍّ قرآني صريح .

وقد أشار كثيرٌ من المفسرين والمؤرخين ، إلى حديث الغدير بنصه وروحه ؛ نذكر منهم ابن كثير الشامي في تاريخه ، والطبري في تفسيره وتاريخه ، وابن عساكر والنسائي وابن ماجة والإمام أحمد . هذا وقد وردت رواياتٍ كثيرة ، بأسانيدٍ مستفيضة ومتواترة .

ثم رجع الرسول (ص) بعد حجة الوداع ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، وتوفي (ص) يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة عشرة هجرية .

٦ ـ وفاة الرسول (ص)(*)

روى عطاء عن الفضل بن عباس رحمه الله ، قال : جاءني رسول الله (ص) حين بدا به مرضه فقال : « اخرج » فخرجت إليه ، فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه . فقال : « خذ بيدي » فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال : « نادِ في الناس » فصحت فيهم ، فاجتمعوا إليه ؛ فقال (ص) :

« أيها الناس إني أحمد إليكم الله ، قد دنا مني خفوق من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدمنه ، ومن كنتُ شتمت له عرضاً ، فهذا عرصي فليستقدمنه ، ومن كنتُ أخذت له مالاً ، فهذا مالي فليأخذ منه ؛ ولا يقل رجل إني أخاف الشحناء ، من قبل

(*) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، المجلد ٣ ، ص١٨٩ ، والمجلد ٤ ص ٣٨٢ .
الحنبلي : أبو الفلاح ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج١ ، ص١٤. دار المسيرة ، هيكل : محمد حسنين ، حياة محمد ص ٤٩٢ ط١٣ .

رسـول الله ، ألا وإن الشحنـاء ليسـت من طبيعتي ، ولا من شأني ، ألا وإن أحبكم إليَّ من أخذ مني حقاً إن كان له ، أو حللني فلقيتُ الله وأنا طيب النفس ، وقد أراني أن هذا غير مغنٍ عني ، حتى أقوم فيكم به مراراً » .

ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته ، ثم قال (ص) :

« أيها الناسَ ! من كان عنده شيء فليؤده ، ولا يقل فضوح الدنيا ، فإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة » .

وقد روي عن ابن مسعود أنه قال : نعى إلينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته . . . فقلنا : يا رسول الله ، فمتى أجلك ؟

قال (ص) : « قد دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى والرفيق الأعلى » .

قلنا : فمن يغسلك يا رسول الله ؟

قال (ص) : « أهلي الأدنى فالأدنى » .

قلنا : ففيم نكفنك ؟

قال : في ثيابي هذه إن شئتم ، أو في بياض مصر ، أو حلة يمنية .

قلنا : فمن يُصلي عليك ؟

فقال (ص) : « إذا غسلتموني وكفنتموني ، فضعوني على سريري في بيتي هذا ، على شفير قبري ، ثم اخرجوا عني

ساعة ، فإن أول من يُصلي عليَّ ، جليسي وحبيبي وخليلي جبرائيل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة ، ثم ادخلوا عليَّ فوجاً ، فصلوا عليَّ وسلموا ، ولا تؤذوني بتزكية ولا ضجة ولا رنَّة ، وليبدأ بالصلاة عليَّ ، رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم .

وقد روي أن رسول الله (ص) قُبض يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ١٠ هـ ، وتولى غسله علي بن أبي طالب (ع) ، والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس ، وقثم بن العباس ، وقيل إنه دُفن بعد وفاته بثلاثة أيام ، وقيل في يوم الثلاثاء الغد من وفاته .

٧ ـ قصة السقيفة(*)

لما توفي رسول الله (ص) ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فأجلست سعد بن عبادة الخزرجي ، وعصبته بعصابة ، وثنت له وسادة ؛ وبُلِّغ أبا بكر وعمر والمهاجرين ، فأتوا مسرعين ، فنحوا الناس عن سعد ، وأقبل أبو بكر وعمر بن الخطاب(رض) وأبو عبيدة بن الجراح ، فقالوا : يا معاشر الأنصار ! منا رسول الله ، فنحن أحق بمقامه .

وقالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير .

فقال أبو بكر (رض) : منا الأمراء وأنتم الوزراء .

فقام ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الأنصار ، فتكلم وذكر فضلهم .

(*) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، المجلد الثاني ، ص٢ و١٦ ، دار إحياء التراث العربي ، شرف الدين : عبد الحسين ، النص والاجتهاد ، ص ٧٦ ط٤ . والطبرسي : أحمد بن علي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص ٨٩ ، واليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ١٢٣ .

فقال أبو بكر (رض) : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولكن قريش أولى بمحمد منكم ، وهذا عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فبايعوا أيهما شئتم » .

فأبيا عليه ، وقالا : والله ما كنا لنقدمك .

فضرب أبو عبيدة على يد أبي بكر وثنى عمر ، ثم بايع من كان معه من قريش .

ثم نادى أبو عبيدة : يا معشر الأنصار إنكم كنتم أول من نصر ، فلا تكونوا أول من غيَّر وبدَّل .

وقام عبد الرحمن بن عوف ، فتكلم فقال : يا معشر الأنصار ، إنكم إن كنتم على فضل ، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي .

وقام المنذر بن أرقم ، فقال : ما ندفع فضل من ذكرت ، وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر ، لم ينازعه فيه أحد ، يعني علي بن أبي طالب .

فوثب بشير بن سعد من الخزرج ، فكان أول من بايعه من الأنصار ، وأسيد بن حضير الخزرجي ، وبايع الناس .

وجاء البراء بن عازب ، فضرب الباب على بني هاشم وقال : يا معشر بني هاشم ، بويع أبو بكر .

فقال بعضهم : ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب

عنه ، ونحن أولى بمحمد .

فقال العباس : فعلوها ورب الكعبة .

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي ، فلما خرجوا من الدار ، قام الفضل بن العباس ، وكان لسان قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ، ونحن أهلها دونكم ، وصاحبنا أولى بها منكم .

وتخلف علي عن بيعة أبي بكر ، وتخلف معه قوم من المهاجرين والأنصار ، منهم العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام بن العاص ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ؛ وقال أصحاب علي لعلي (ع) : لقد تركت حقاً ، أنت أحق به وأولى .

فقال (ع) : لو قلت ذلك لأتوني ، فقالوا بايع وإلا قتلناك .

ولما نُحي علي (ع) عن الخلافة ، بعد يوم السقيفة ، إلى آخر خلافة عثمان ، وذلك من نحو ٢٤ سنة ، لم يدخل مع القوم في أمارة ولا حرب ، وإنما كان يشير بما فيه النصح ، والمصلحة لعامة المسلمين . واشتغل بجمع القرآن ، بتأويله وتنزيله وتفسيره ، وإقرائه وإرشاد الناس وتعليمهم ، وبنشر علوم الدين والفتوى ، ولا سيما في المسائل الغامضة ، التي كان

يرجع إليه فيها الصحابة ، والقضاء بين الناس ، وخصوصاً في القضايا التي كانت تُشكِل على غيره .

٨ ـ في عهد الخلفاء الثلاثة(*)

كانت بيعة أبي بكر يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٠ هـ في اليوم الذي توفي فيه رسول الله (ص) ، وكان بيته في المدينة ، فأتته فاطمة ابنة رسول الله (ص) تطلب ميراثها من أبيها ، فقال لها :

قال رسول الله (ص) : « إنا معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة » .

فقالت « ع » : أفي الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟! أما قال رسول الله (ص) : « المرء يحفظ ولده ؟ » .

فبكى أبو بكر بكاءً شديداً ، ولما اعتل وكتب عهده لعمر ، قال : ليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأُدْخِلْه الرجال .

لما قُبض رسول الله (ص) ، في أيام أبي بكر ، جمع

(*) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٢٧ ، وما يليها ، دار بيروت ، فروخ : د . عمر ، دراسات قصيرة في الأدب والتايخ والفلسفة ، ط٢ .

علي بن أبي طالب (ع) القرآن ، فأتى به يحمله على جمل ، فقال : هذا القرآن قد جمعته ، وكان قد جزأه سبعة أجزاء :

الجزء الأول : البقرة ، ويوسف ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وحم والسجدة ، والذاريات ، وهل أتى على الإنسان ، وألم تنزيل السجدة ، والنازعات ، وإذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت ، وسبح اسم ربك الأعلى ، ولم يكن . فذلك جزء البقرة ثمانمئة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .

الجزء الثاني : آل عمران ، وهود ، والحج ، والحجر ، والأحزاب ، والدخان ، والرحمن ، والحاقة ، وسأل سائلٌ ، وعبس ، والشمس وضحاها ، وإنا أنزلناه ، وإذا زلزلت ، وويلٌ لكل همزة ، وألم ترَ ، ولإيلاف قريش ، فذلك جزء آل عمران ثمانمئة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

الجزء الثالث : النساء ، والنحل ، والمؤمنون ، ويس ، وحمعسق ، والواقعة ، وتبارك الملك ، ويا أيها المدثر ، وأرأيت ، وتبت ، وقل هو الله أحد ، والعصر ، والقارعة ، والسماء ذات البروج ، والتين والزيتون ، وطس النمل ، فذلك جزء النساء ثمانمئة وست وثمانون آية ، وهو ست عشرة سورة .

الجزء الرابع : المائدة ، ويونس ، ومريم ، وطسم الشعراء ، والزخرف ، والحجرات ، وق والقرآن المجيد ، واقتربت الساعة ، والممتحنة ، والسماء والطارق ، ولا أقسم بهذا البلد ، وألم نشرح لك ، والعاديات ، وإنا أعطيناك

الكوثر ، وقل يا أيها الكافرون ، فذلك جزء المائدة ثمانمئة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .

الجزء الخامس : الأنعام ، وسبحان ، واقترب ، والفرقان ، وموسى وفرعون ، وحم المؤمن ، والمجادلة ، والحشر ، والجمعة ، والمنافقون ، ون والقلم ، وإنا أرسلنا نوحاً ، وقل أوحي إليَّ ، والمرسلات ، والضحى ، وألهاكم ، فذلك جزء الأنعام ، ثمانمئة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

الجزء السادس : الأعراف ، وإبراهيم ، والكهف ، والنور ، وص ، والزمر ، والشريعة ، والذين كفروا ، والحديد ، والمزمل ، ولا أُقسم بيوم القيامة ، وعم يتساءلون ، والغاشية ، والفجر ، والليل إذا يغشى ، وإذا جاء نصر الله . فذلك جزء الأعراف ثمانمئة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

الجزء السابع : الأنفال ، وبراءة ، وطه ، والملائكة ، والصافات ، والأحقاف ، والفتح ، والطور ، والنجم ، والصف ، والتغابن ، والطلاق ، والمطففين ، والمعوذتين . فذلك جزء الأنفال ، ثمانمئة وست وثمانون آية ، وهو خمس عشرة سورة .

وقد جاء في بعض الآثار ، أن علياً (ع) قال : نزل القرآن على أربعة أرباع ، ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع أمثال ، وربع محكم ومتشابه .

وكان علي بن أبي طالب (ع) ، ممن يؤخذ عنه الفقه ، في أيام أبي بكر (رض) .

* * *

أما بيعة عمر بن الخطاب (رض) فكانت يوم الثلاثاء ، لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة ، وقيل لسبعٍ بقين منه ، سنة ١٣ هـ بعد أن عهد إليه أبو بكر ، فأمر عثمان أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر ، خليفة رسول الله إلى المؤمنين والمسلمين ، سلامٌ عليكم ، فإني أحمد إليكم الله ، أمابعد ، فإني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فأسمعوا وأطيعوا وإني ما ألوتكم نصحاً والسلام .

وفي سنة ١٦ هـ ، أرَّخ عمر الكتب ، وأراد أن يكتب التاريخ ، منذ مولد رسول الله (ص) ثم قال : من المبعث ، فأشار عليه علي بن أبي طالب (ع) أن يكتبه من الهجرة ، فكتبه من الهجرة .

وفي سنة ١٧ هـ خطب عمر إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم بنت علي ، وأمها فاطمة بنت رسول الله (ص) ، فقال علي (ع) : إنها صغيرة ، فقال : إني لم أرد حيث ذهبت ؛ ولكني سمعت رسول الله (ص) يقول : كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ، إلا سببي ونسبي وصهري ، فأردت أن يكون لي سبب ، وصهر برسول الله (ص) ، فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار .

وفي سنة ١٩ هـ ، شاور عمر أصحاب رسول الله (ص)

في سواد الكوفة ، فقال له بعضهم : تقسمها بيننا ؛ فشاور علياً ، فقال : إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ، ولكن نقرها في أيديهم ، يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا . فقال : وفقك الله ! هذا الرأي .

ولما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب (رض) بخنجرٍ مسموم ، وكانت سنو عمر (رض) يومئذٍ ثلاثاً وستون سنة ، وكانت ولايته عشر سنين وثمانية أشهر .

ولما حضرته الوفاة ، اجتمع إليه الناس فقال : إني قد مصرت الأمصار ، ودوّنت الدواوين ، وأجريت العطايا ، وغزوت في البر والبحر ، فإن أهلك فالله خليفتي عليكم ، وسترون رأيكم .

وصير الأمر شورى ، بين ستة نفر من أصحاب رسول الله (ص) : علي بن أبي طالب (ع) ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقاص ؛ ثم جعل الأمر شورى بينهم ، فيجتمعون ويختارون خليفة من بينهم .

وقد اختار أشخاص الشورى عثمان بن عفان الأموي (رض) ، وكان علي بن أبي طالب (ع) ، أصغر رجال الشورى سناً ، وكان أشخاص الشورى قد استبعدوا علياً من الإنتخاب ، لأسباب يضيق المقام عن تفصيلها ، الأمر الذي أغضب علياً ، إذ أن القضية لم تعد قضية عثمان أو علي ، وإنما قضية بني هاشم وبني أُمية ، لا بل قضية المسلمين

أجمعين .

إنَّ بني هاشم هم الذين نصروا الإسلام ، من أول يوم صدع فيه رسول الله (ص) بالدعوة ، فحاربوا في سبيل الدعوة بأنفسهم وأموالهم . أما بنو أُمية فلم يدخلوا الإسلام إلا بعد فتح مكة ، وبعد أن اضطروا إلى أن يدخلوا في الإسلام اضطراراً . فتحامل جماعة علي (ع) على عثمان (رض) ، وروى بعضهم ، فقال :

دخلتُ مسجد رسول الله (ص) ، فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه ، يتلهف تلهف من كأن الدنيا كانت له فسلبها ، وهو يقول : واعجباً لقريش ، ودفعهم هذا الأمر ، على أهل بيت نبيهم ، وفيهم أول المؤمنين ، وابن عم رسول الله (ص) ، أعلم الناس وأفقههم في دين الله ، وأعظمهم غناءً في الإسلام ، وأبصرهم بالطريق ، وأهداهم للصراط المستقيم ، وقد زووها عن الهادي المهتدي ، الطاهر النقي ، وما أرادوا إصلاحاً للأمة ، ولا صواباً في المذهب ، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة ، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين .

فدنوت منه فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ ومن هذا الرجل ؟ .

قال : أنا المقداد بن عمرو ، وهذا الرجل علي بن أبي طالب (ع) .

قلت : ألا تقوم بهذا الأمر فأُعينك عليه ؟

فقال : يا ابن أخي ، إن هذا الأمر لا يجري فيه الرجل ولا الرجلان .

ثم خرجت فلقيت أبا ذر ، فذكرت له ذلك .

فقال : صدق أخي المقداد .

وقد انتهز الأمويون فرصة وجود عثمان في الخلافة ، مدة اثنتي عشرة سنة ، فسيروا أمور الأمبراطورية الإسلامية ، سياسياً على هواهم ؛ ولما عوتب عثمان في هذا الأمر ، قال : وما ينقم الناس مني أن أولي أهلي وذوي رحمي ؟! .

وكان أبو ذر الغفاري ، يقعد في مسجد رسول الله (ص) ، ويجتمع إليه الناس ، فيحدث بما فيه الطعن على عثمان ، حتى بلغ ذلك عثمان أنه وقف يوماً بباب المسجد ، فقال : أيها الناس ! من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري ، أنا جندب بن جنادة الربذي ، : **﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليم ﴾** .

محمد (ص) الصفوة من نوح ، فالأول من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، والعترة الهادية من محمد (ص) . إنه شَرُفَ شريفهم ، واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة ، وكالكعبة المستورة ، أو كالقبلة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية ، أو كالقمر الساري ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجر الزيتونية أضاء زيتها ، وبورك زبدها ،

ومحمد (ص) وارث علم آدم ، وما فُضِّل به النبيون ، وعلي بن أبي طالب (ع) وصي محمد (ص) ، ووارث علمه . أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها ! أما لو قدمتم من قدَّم الله ، وأخرتم من أخر الله ، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم ، لأكلتم من فوق رؤوسكم ، ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي الله ، ولا طاش سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله ، إلا وجدتم علم ذلك عندهم ، من كتاب الله وسنّة نبيه ، فأما إذا فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون .

وبلغ عثمان أيضاً ، أن أبا ذر يقع فيه ، ويذكر ما غيَّر وبدَّل من سنن رسول الله (ص) ، وسنن أبي بكر وعمر (رض) ، فسيره إلى الشام إلى معاوية ، وكان يجلس في المسجد ، فيقول كما كان يقول ، ويجتمع إليه الناس ، حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه ، وكان يقف على باب دمشق ، وإذا صلى صلاة الصبح ، فيقول : جاءت القطار تحمل النار ، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له ، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له .

وكتب معاوية إلى عثمان : إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر .

فكتب إليه : أن أحمله على قتب بغير وطاء ؛ فقدم به إلى المدينة ، وقد ذهب لحم فخذيه ، فلما دخل إليه وعنده جماعة ، قال : بلغني أنك تقول : سمعت رسول الله (ص) يقول :

إذا كملت بنو أُمية ثلاثين رجلاً ، اتخذوا بلاد الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، ودين الله دغلاً .

فقال : نعم ! سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك .

فقال لهم : أسمعتم رسول الله يقول ذلك ؟ .

فبعث إلى علي بن أبي طالب (ع) فأتاه فقال : يا أبا الحسن أسمعت رسول الله (ص) يقول ما حكاه أبو ذر ؟ وقصَّ عليه الخبر .

فقال علي (ع) : نعم !

قال : وكيف تشهد ؟

قال : لقول رسول الله (ص) : « ما أظلَّت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر »[1] .

فلم يقم بالمدينة إلا أيام ، حتى أرسل إليه عثمان (رض) : والله لتخرجن عنها .

قال : أتخرجني من حرم رسول الله ؟

قال : نعم ! وأنفك راغم .

قال : فإلى مكة ؟

---

(١) صحيح محمد بن عيسى الترمذي ، كتاب المناقب رقم٣٥ ، وصحيح ابن ماجة القزويني ، المقدمة رقم١١ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد ٢ ، ص : ١٦٢ و١٧٥ و٢٢٣ والمجلد ٥ ص٦و١٩٧ و٤٤٢ .

قال : لا !

قال : فإلى الكوفة ؟

قال : لا ! ولكن إلى الربذة ، التي خرجت منها ، حتى تموت بها ، يا مروان ! اخرجه ، ولا تدع أحداً يكلمه ، حتى يخرج .

فأخرجه على جملٍ ومعه امرأته وابنته ، فخرج وعلي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون .

فلما رأى أبو ذر علياً ، قام إليه فقبل يده ، ثم بكى وقال : إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ، ذكرت قول رسول الله (ص) فلم أصبر حتى أبكي ! .

فذهب علي (ع) يكلمه ، فقال له مروان : إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد .

فرفع علي (ع) السوط فضرب وجه ناقة مروان ، وقال : تنحَّ ، نحاك الله إلى النار . ثم شيعه ، فكلمه بكلامٍ يطول شرحه ، وتكلم كل رجل من القوم ، وانصرفوا ، وانصرف مروان إلى عثمان ، فجرى بينه وبين علي (ع) في هذا بعض الوحشة ، وتلاحيا كلاماً ، فلم يزل أبو ذر بالربذة ، حتى توفاه الله .

ونقم الناس على عثمان ، بعد ولايته بست سنين ، وتكلم فيه من تكلم ، وقالوا : آثر القرباء ، وحمى الحمى ، وبنى الدَّار ، واتخذ الضياع والأموال ، بمال الله والمسلمين ، ونفى

أبا ذر صاحب رسول الله (ص) .

وهكذا ، فقد عمَّت الفوضى حكم عثمان أخيراً ، ونقمت عليه الأقطار الإسلامية ، لأسبابٍ حقيقية وغير حقيقية ، فجاءت وفود هذه الأقطار إلى لمدينة ، حيث يقيم عثمان ، حاصرت بيته لمدة أربعين يوماً ، حيث قُتل لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ، في حادثٍ مؤسفَ ، بعد أن أرسل بعض الصحابة أولادهم للدفاع عنه ، وأرسل علي (ع) ابنيه الحسن والحسين (ع) .

ومنذ ذلك الحين ، استعرت نار العداوة ، بين بني أُمية وبني هاشم ، ولم يكن يومذاك في المسلمين أحد ، أليق بالخلافة من علي بن أبي طالب (ع) ، فاختارته وفود الأقطار العربية ، وبايعه المسلمون .

٩ ـ حرب الجمل(*)

لما قُتل عثمان (رض) وبلغ قتله إلى عائشة (رض) ، وأن القوم بايعوا علياً (ع) قالت : « وددتُ لو أن السماء انطبقت على الأرض ، وسُمعت تُخاطب نفسها : قتلوا ابن عفان مظلوماً ، والله لأطالبنَّ بدمه .

فقيل لها : ولِمَ ؟ والله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنتِ تقولين : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » .

قالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول .

فدخلت مكة وقصدت الحجر فسترت به ، فاجتمع الناس حولها ، فقالت : أيها الناس ! إن الغوغاء من أهل الأمصار ، وأهل المياه ، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل ،

(*) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ١٨٠ ، والمسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٣٦٧ .
الأمين : السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ج٣ ، ص ١٦ ، القسم الثاني .

المقتول ظلماً بالأمس . . . بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، والله لأصبع من عثمان ، خير من طباق الأرض أمثالهم .

ثم أجمعت على الخروج إلى البصرة ، فأتت أُم سلمة ، وكانت بمكة ، فقالت : يا ابنة أبي أُمية ، كنتِ كبيرة أُمهات المؤمنين ، وكان رسول الله (ص) يقمؤا[1] في بيتكِ ، وكان يقسم لنا في بيتك ، وكان ينزل عليه الوحي في بيتكِ .

قالت لها : يا ابنة أبي بكر ، لقد زرتني وما كنتِ زوارة ، ولأمرٍ ما تقولين هذه المقالة .

قالت : إن ابنيَّ[2] وابن أختي[3] أخبراني ـ الصواب أخبروني ولعله تحريف ـ أن الرجل قُتل مظلوماً ، وأن بالبصرة مئة ألف سيف يطاوعون ، فهل لكِ أن أخرج أنا وأنتِ ، لعل الله يصلح بنا بين فئتين متناحرتين ؟ .

فقالت : يا ابنة أبي بكر ! أبدم عثمان تطلبين ؟! فلقد كنتِ أشد الناس عليه ، وحدَّثتها ووعظتها ونصحتها بعدم التعرض لهذا الأمر

فقالت عائشة رض) : ما أقبلني لوعظكِ وأسمعني لقولكِ ، فإن أخرج ففي غير حرج وأن أقعد ففي غير بأس

---

(١) يقمؤ : يأكل ويشرب .
(٢) يراد بهما طلحة والزبير .
(٣) عبد الله بن الزبير لأن أمه أسماء بنت أبي بكر .

وخرج .

فخرج رسولها فنادى في الناس : إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن أراد إعزاز الإسلام ، وقتل المحلين ، والطلب بثأر عثمان ، وليس له مركب وجهاز ، فليأتِ .

فحملوا ستمئة على ستمئة بعير ، وقيل تسعمئة ، وقيل ألف ، من أهل المدينة ومكة ، وأعطى يعلي بن منية عائشة جملاً اسمه عسكر ، ولحقهم الناس ، فكانوا في ثلاثة آلاف رجل ؛ فأرادوا الشام ، فصدهم ابن عامر ، قائلاً : إن به معاوية ، لا ينقاد إليكم ولا يطيعكم ، لكن هذه البصرة لي بها صنائع وعَدَد ، فجهزهم بألف ألف درهم ، ومئة من الإبل ، وغير ذلك . وسار القوم نحو البصرة ، فانتهوا في الليل ، إلى ماء لبني كلاب ، يعرف بالحوأب ، عليه ناس عوت كلابهم على الركب ، فقالت عائشة : ما اسم هذا الموضع ؟

فقيل لها : الحوأب .

فاسترجعت ، وذكرت قول رسول الله (ص) لنسائه : كأني بإحداكن وقد نبحتها كلاب الحوأب » . ثم قال لعائشة : « إياكِ أن تكونيها » . ثم قالت : ردوني إلى حرم رسول الله (ص) لا حاجة لي في المسير .

فقال لها الزبير : بالله ما هذا الحوأب ، ولقد غلط من أخبرك به ؛ ثم أقسم طلحة : إن ذلك ليس بالحوأب ، وشهد

معهما خمسون رجلاً ممن كان معهم .

ولما بلغ علياً (ع) نكث طلحة والزبير بيعته ، واجتماعهم مع عائشة على التأليب عليه ، سار من المدينة في سبعمئة راكب ، منهم أربعمئة من المهاجرين والأنصار ، ثم لحق بعلي (ع) ، من أهل المدينة جماعة من الأنصار ، وأتاه من طيء ستمئة راكب ؛ سار علي (ع) بمن معه حتى نزل بذي قار ، وبعث بابنه الحسن وعمار بن ياسر ، إلى الكوفة يستنفران الناس ، فسار عنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف ، فانتهى إلى البصرة ، وراسل القوم ، وناشدهم الله في الدماء ، وقال : علامَ تقاتلونني ؟! فأبوا إلا قتاله فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يُقال له مسلم ، معه مصحف يدعوهم إلى الله ، فرموه بسهم فقتلوه ، فحُمل إلى علي (ع) وقالت أمه :

يا رب إن مسلماً أتاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم
وأمه قائمة تراهم

وقد ذكرت الروايات أن عسكر عائشة كان ثلاثين ألفاً ، وعسكر علي (ع) عشرين ألفاً ؛ ولما تراءى الجمعان ، وأقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً ، وأوشكت الرماح أن تشتبك ، خرج علي (ع) فأمر أصحابه أن يصافوهم ، ولا يبدؤهم بقتال ، ولا يرموهم بسهم ، ولا يضربوهم بسيف ، ولا يطعنوهم برمح ، حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء

الخزاعي ، من الميمنة بأخٍ له مقتول ، وجاء قوم من الميسرة برجلٍ قد رُمي بسهمٍ فقُتل ، ورمى أصحاب الجمل عسكر علي (ع) بالنبل رمياً شديداً متتابعاً ، ضج معها أصحاب علي (ع) ، وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين ، وجيء إليه برجل ، فقيل له : هذا فلان قد قُتل ، فقال (ع) : اللهم اشهد . ثم قال : اعذروا إلى القوم .

فأُتي برجلٍ آخر ، فقيل : وهذا قد قُتل ، فقال : اللهم اشهد ، اعذروا إلي القوم . ثم كانت الحرب ، وأطافت بنو ضبة بالجمل ، وكانت تحمل الراية ، فقُتل منهم ألفان ، وحفت به الأزد ، فقُتل منهم ألفان وسبعمئة ، وكان لا يأخذ خطام الجمل أحد إلا سالت نفسه ، فقتل طلحة بن عبيد الله في المعركة ، رماه مروان بن الحكم بسهمٍ فصرعه ، وقال : لا أطلب والله بعد اليوم بثأر عثمان ، وأنا قتلته ؛ فقال طلحة لما سقط : تالله ما رأيت كاليوم شيخاً أضيع مني ! إني والله ما وقفت موقفاً قط ، إلا عرفت موضع قدمي فيه ، إلا هذا الموقف .

وقال علي (ع) للزبير : يا أبا عبدالله ؛ ادنِ إليَّ اذكرك كلاماً سمعته أنا وأنت من رسول الله (ص) .

فقال الزبير لعلي : لي الأمان ؟ .

قال علي (ع) : عليك الأمان ، فبرز إليه فذكره بالكلام .

فقال : اللهم إني ما ذكرت هذا ، إلا هذه الساعة ، وثنى عنان فرسه ، ليصرف ، فقال له عبد الله بن الزبير : إلى أين ؟ .

قال : ذكرني علي كلاماً قاله رسول الله (ص) .

قال : كلا ، ولكنك رأيت سيوف بني هاشم حداداً تحملها فتية أمجاد .

قال : ويلك ! لا والله ، ولكني ذكرت ما أنسانيه الدهر ، فاخترت العار على النار ، أبالجبن تعيرني لا أبا لك .

وأخذ الرمح وحمل على أصحاب علي ، فقال علي (ع) : افرجوا للشيخ إنه محرَّج ؛ فشق الميمنة والميسرة ، والقلب ثم رجع ، فقال لابنه : أيفعل هذا جبان ؟ .

وانصرف ، فاجتاز بالأحنف بن قيس ، فقال : ما رأيت مثل هذا ، أتى بحرمة رسول الله (ص) يسوقها ، فهتك عنها حجاب رسول الله (ص) وستر حرمته في بيته ، ثم أسلمها وانصرف . ألا رجل يأخذ لله منه ؟

فلحقه نفر من بني تميم ، فسبقهم إليه عمرو بن جرموز ، وقد نزل الزبير إلى الصلاة ، فقال : أتؤمَّني أو أَؤمك ؟ فأمَّه الزبير ، فقتله عمرو في الصلاة . وأتى عمرواً علياً بسيف الزبير وخاتمه ورأسه ، وقيل إنه لم يأتِ برأسه .

فقال علي (ع) : سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله (ص) .

وكانت الحرب أربع ساعات من النهار ؛ روى بعضهم أنه قتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفاً .

ثم نادي منادي علي (ع) : « ألا لا يجهز على جريح ، ولا يتبع مولٍّ ، ولا يُطعن في وجه مدبر ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن . ثم آمن الأسود والأحمر ، ووجه ابن عباس إلى عائشة يأمرها بالرجوع . فلما دخل عليها ابن عباس ، قالت : أخطأت السنة يا بن عباس مرتين ؛ دخلت بيتي بغير إذني ، وجلست على متاعي بغير أمري .

قال : نحن علمنا إياك السنة ، إن هذا ليس بيتكِ ، بيتكِ الذي خلفكِ رسول الله (ص) به ، وأمركِ القرآن أن تقرِّي فيه .

وجرى بينهما كلام بهذا الشأن ، ثم قال لها : إن أمير المؤمنين يأمركِ بسرعة الأوبة ، والتأهب للخروج إلى المدينة .

فقالت : أبيتُ ما قلت ، وخالفتُ ما وصفت .

فمضى إلى علي (ع) ، فخبره بامتناعها ، فأتاها علي وهي في دار عبد الله بن خلف الخزاعي ، وابنه المعروف بطلحة الطلحات . فقال : إيها يا حميراء ! ألم تنتهِ عن هذا المسير ؟

فقالت : يا ابن أبي طالب ، قدرت فاسجح !

فقال : اخرجي إلى المدينة ، وارجعي إلى بيتكِ ، الذي أمركِ رسول الله (ص) أن تقري فيه .

قالت : أفعل !

فوجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال ، حتى وفوا بها المدينة ، فلما أتت المدينة ، قيل لها : كيف رأيتِ مسيرك ؟

قالت : كنتُ بخير والله ، لقد أعطى علي بن أبي طالب فأكثر ، ولكنه بعث معي رجالاً أنكرتهم ، فعرَّفها النسوة أمرهن . فسجدت وقالت : ما ازددت والله يا ابن أبي طالب إلا كرماً ، ووددت إني لم أخرج ، وإنما قيل لي : تخرجين فتصلحين بين الناس ، فكان ما كان .

ودخل علي (ع) بيت مال البصرة ، في جماعةٍ من المهاجرين ، فنظر إلى ما فيه من العين والورق ، فجعل يقول : يا صفراء ، غري غيري ، ويا بيضاء ، غري غيري ، وأدام النظر إلى المال مفكراً ، ثم قال : أقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمئة خمسمئة ، ففعلوا فما نقص درهمٍ واحد ، وعدد الرجال اثنا عشر ألفاً .

وقبض ما كان في معسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك ، فباعه وقسمه بين أصحابه ، وأخذ لنفسه كما أخذ لكل واحدٍ ممن معه من أصحابه وأهله وولده خمسمئة درهم ؛ فأتاه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين ، إني لم آخذ شيئاً ، وخلفني عن الحضور كذا ، وأدلى بعذر ، فأعطاه الخمسمئة التي كانت له .

وولى على البصرة عبد الله بن عباس ، وسار إلى الكوفة ، ثم بعث إلى الأشعث بن قيس ، يعزله عن أذربيجان وأرمينية ، وكان عاملاً لعثمان عليها ، وصرف عن همذان جرير بن عبد الله البجلي ، وكان عاملاً لعثمان .

١٠ ـ وقعة صفين(*)

لما فرغ الإمام علي بن أبي طالب (ع) من حرب أصحاب الجمل، وجّه جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، وكتب إليه كتاباً، يعلمه فيه بإجماع المهاجرين والأنصار، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار، فماطله معاوية واستنظره، ودعا عمرو بن العاص فاستشاره فيما كتب به إليه، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام، ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم.

ففعل معاوية ذلك، ووضع قميص عثمان (رض)، الذي قُتل فيه مُخضباً بدمه على المنبر، وكتب بالخبر إلى الأجناد، وثاب إليه الناس.

قدم جرير بن عبد الله على علي (ع)، فأخبره خبر معاوية، واجتماع أهل الشام معه على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان، ويقولون: إن علياً قتله، وآوى قتلته، وأنهم لا

(*) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٥٦١ ط المعارف، اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٨٤، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٨٠.

ينتهون عنه ، حتى يقتلهم أو يقتلوه .

سار علي (ع) في المهاجرين والأنصار حتى صار إلى صفين وقد سبق معاوية إلى الماء ، فلما وافى علي وأصحابه ، لم يصلوا إلى الماء ، فوجه علي (ع) الأشتر والأشعث في الخيل ، والأشعث بن قيس في الرجالة ، فقاتل أصحابُ علي خيل معاوية ، حتى غلبوا على المشرعة ، وكان مع علي (ع) يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً ، ومن سائر المهاجرين والأنصار ، أربعمئة رجل ، ووقعت الحرب ، فزحف أصحاب علي (ع) ، وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً ، حتى لصقوا به . فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه ، فقال له عمرو بن العاص : إلى أين؟ .

قال : قد نزل ما ترى ، فما عندك ؟ .

قال : لم يبقَ إلا حيلة واحدة ، أن ترفع المصاحف فتدعوهم إلى ما فيها ، فتستكفهم وتكسر من حدِّهم ، وتفتُّ في أعضادهم .

قال معاوية : فشأنك !

فرفعوا المصاحف ودعوهم إلى التحكيم بما فيها ، وقالوا : ندعوكم إلى كتاب الله .

فقال علي (ع) : إنها مكيدة ، وليسوا بأصحاب قرآن .

فاعترض الأشعث بن قيس الكندي ، وقد كان معاوية استمالَه ، وكتب إليه ودعاه إلى نفسه ـ فقال : قد دعا القوم إلى

الحق .

فقال علي (ع) : إنهم إنما كادوكم ، وأرادوا صرفكم عنهم .

فقال الأشعث : والله لئن لم تجبهم انصرفتُ عنك ؛ ومالت اليمانة مع الأشعث ، ثم قال : والله لتجيبنَّهم إلى ما دعوا إليه ، أو لندفعنَّك إليهم برمتك .

فتنازع الأشتر والأشعث في هذا كلاماً عظيماً ، وحتى كاد أن يكون الحرب بينهم ، وحتى خشي علي (ع) ، أن يفترق عنه أصحابه ، فلما رأى ما هو فيه ، أجابهم إلى الحكومة .

عندها قال الأشعث لعلي (ع) : إن شئت أتيتُ معاوية ، فسألته ما يريد ؟ .

قال (ع) : ذلك إليك ، فأته إن شئت .

فأتاه الأشعث ، فسأله ، فقال معاوية : نرجع نحن وأنتم إلى كتاب الله ، وإلى ما أمر به في كتابه : تبعثون منكم رجلاً ترضونه وتختارونه ، ونبعث برجلٍ ، ونأخذ عليهما العهد والميثاق ، أن يعملا بما في كتاب الله ، ولا يخرجا عنه ، وننقاد جميعاً إلى ما اتفقا عليه من حكم الله .

فصوَّب الأشعث قوله ، وانصرف إلى علي (ع) ، فأخبره ذلك . فقال أكثر الناس : رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا .

١١ ـ التحكيم والنتائج (*)

قال علي (ع) : أرى أن أُوجه بعبد الله بن عباس .

فقال الأشعث : إن معاوية يوجه بعمرو بن العاص ، ولا يحكم فينا مضريان ، ولكن توجه أبا موسى الأشعري ، فإنه لم يدخل في شيءٍ من الحرب .

فقال علي (ع) : إن أبا موسى عدو ، وقد خذل الناس عني بالكوفة ، ونهاهم أن يخرجوا معي . قالوا : لا نرضى بغيره .

ثم قالوا لأبي موسى ومن معه : قد عصيتموني في أول هذا الأمر ، فلا تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أُولي أبا موسى الأشعري .

فقال الأشعث ومن معه : «لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري .

(*) مغنية : حسن ، وقائع العرب ، ص ١٣٨ ، والمسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٤٠٣ ، والأمين : السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ج٣ ، ص ٦٤ .

قال (ع) : ويحكم! هو ليس بثقة ، لقد فعل كذا وكذا ، وذكر (ع) أشياء ، فعلها أبو موسى ، وهذا عبد الله بن عباس أوليه ذلك .

فلم يرضَ الأشعث ومن معه .

فقال علي (ع) : فالأشتر .

قالوا : وهل هاج هذا الأمر إلا الأشتر ؟ .

قال (ع) : فاصنعوا الآن ما أردتم وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه .

ثم وجه علي (ع) أبا موسى ، على علمه بعداوته له ، ومداهنته فيما بينه وبينه ؛ ووجه معاوية عمرو بن العاص ، فكتبوا كتابين بالقضية ، كتاباً من علي (ع) ، وكتاباً من معاوية ، واختصموا في تقديم علي ، أو تسمية علي بإمرة المؤمنين ، فحسم ذلك الإمام (ع) بقوله : الله أكبر! قد كتب رسول الله (ص) يوم الحديبية لسهيل بن عمرو : هذا ما صالح رسول الله ؛ فقال سهيل : لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، فمحا رسول الله اسمه بيده . وأمرني فكتبت : من محمد بن عبد الله ، وقال : إن اسمي واسم أبي لا يذهبان بأمرتي . وأمرهم فكتبوا من الإمام علي بن أبي طالب . . . وكتب كتاب القضية . واشترط على الحكمين في الكتابين أن يحكما بما في كتاب الله ، من فاتحته إلى خاتمته لا يتجاوزان ذلك ، ولا يحيدان عنه إلى هوى ولا إدهان ، وأخذ عليهما

أغلظ العهود والمواثيق ؛ فإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله ، فلا حكم لهما .

ووجه علي (ع) بعبد الله بن عباس في أربعمئة من أصحابه ، واجتمعوا بدومة الجندل ، في شهر ربيع الأول سنة ٣٨ هـ ، فخدع عمرو بن العاص أبا موسى ، وذكر له معاوية فقال : هو ولي ثأر عثمان وله شرفة في قريش ، فلم يجد عنده ما يحب ، قال : فابني عبد الله ؟ .

قال : ليس بموضع لذلك .

قال : فعبدالله بن عمر ؟ .

قال : إذن يُحيي سنة عمر .

قال : فاخلع علياً ، وأخلع أنا معاوية ، ويختار المسلمون .

وقدم عمر أبا موسى إلى المنبر ، فلما رآه عبد الله بن عباس ، قام إلى عبد الله بن قيس ، فدنا منه فقال : إن كان عمرو قد فارقك على شيء ، فقدمه قبلك فإنه غدر .

فقال : لا ، قد اتفقنا على أمرٍ .

فصعد المنبر ، وخلع علياً قائلاً : خلعتُ علياً كما خلعتُ هذا الخاتم من إصبعي .

ثم صعد عمرو بن العاص ، فقال : قد ثبتُّ معاوية كما ثبتُّ خاتمي هذا في يدي .

فصاح به أبو موسى : غدرت يا منافق ، إنما مثلك مثلُ الكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فقال عمرو : إنما مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً .

١٢ ـ ظهور الخوارج(*)

لما وقع التحكيم ، تباغض القوم جميعاً ، وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض ، فتبرأ الأخ من أخيه ، والابن من أبيه ، وتنادى الناس : حكم والله الحكمان بغير ما في الكتاب ، والشرط عليهما غير هذا ، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف ، وتسابوا ، ولام كل فريق منهم الآخر في رأيه ، وأخذ قوم بشعور بعض ، وافترق الناس ، ونادت الخوارج : كفر الحكمان ، لا حكم إلا لله .

فأمر علي (ع) بالرحيل ، حيث اختلفت الكلمة ، وتفاوت الرأي فسار إلى الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام ، وفرَّق عساكره، فلحق كل جند منهم ببلده .

ولما دخل علي (ع) الكوفة ، قام خطيباً بالناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد وآل محمد ، ثم قال : أيها الناس ! إن أول وقوع الفتن هوى يتبع ، وأحكام تُبتدع ،

(*) الأمين : السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ج٣ ، سيرة أمير المؤمنين ، ص ٢٠٤ .

يعظم فيها رجال رجالاً ، يخالف فيها حكم الله ، ولو أن الحق أخلص فعمل به ، لم يخف على ذي حجى ، ولكن يؤخذ ضغث من ذا وضغث من ذا ، فيخلط فيُعمل به ، فعند ذلك يستولي الشيطان على أوليائه ، وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى .

وكان قد انحاز عن علي (ع) إثنا عشر ألفاً من القراء وغيرهم فلحِقوا بَحَرُوْراء - قرية من قرى الكوفة - بينها وبين الكوفة نصف فرسخ ، وبها سموا الحرورية ، وجعلوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي وعبدالله بن الكوَّاء اليشكري ، وشبث بن ربعي التميمي ، فجعلوا يقولون : لا حكم إلا لله .

فإذا بلغ علياً ذلك ، قال : كلمة حق أُريد بها باطل ، ثم وجه (ع) إليهم عبد الله بن عباس ، فكلمهم واحتجوا عليه ؛ فخرج إليهم علي (ع) فقال : أتشهدون علي بجهل ؟ .

قالوا : لا ! .

قال : فتنفذون أحكامي ؟ .

قالوا : نعم .

قال : فارجعوا إلى كوفتكم حتى نتناظر .

فرجعوا من عند آخرهم ، وجعلوا ينادون علياً وهو على المنبر : جزعت من البلية ورضيت بالقضية ، وقبلت الدنية، لا

حكم إلا لله .

فيقول (ع) حكم الله انتظر فيكم .

وخرجوا من الكوفة ، فوثبوا على عبدالله بن خباب بن الأرث ، فقتلوه وأصحابه ، فخرج إليهم علي (ع) ، فناشدهم الله ، ووجه إليهم عبد الله بن عباس ، فقال : يا بن عباس ، قل لهؤلاء الخوارج ، ما نقمتم على أمير المؤمنين ؟ ألم يحكم فيكم بالحق ؟ ويقيم فيكم العدل ، ولم يبخسكم شيئاً من حقوقكم ؟؟؟

فناداهم عبد الله بن عباس بذلك ؛ فقالت طائفة منهم : والله لا نجيبه . وقالت الأخرى : والله لنجيبنَّه ثم لنخصمَّنه ، نعم يا بن عباس ، نقمنا على عليٍّ خصالاً كلها موبقة ، لو لم نخصمه منها إلا بخصلة خصمناه ؛ محا اسمه من إمرة المؤمنين يوم كتب إلى معاوية ، ورجعنا عنه يوم صفين ، فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء إلى الله ، وحكَّم الحكمين ، وزعم أنه وصي فضيع الوصية . وجئتنا يا ابن عباس ، في حلة حسنة جميلة ، تدعونا إلى مثل ما يدعونا إليه .

فقال ابن عباس : قد سمعت يا أمير المؤمنين ، مقالة القوم ، وأنت أحقُّ بالجواب .

فقال (ع) حججتهم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة . قل لهم : ألستم راضين بما في كتاب الله ، وبما فيه من أسوة رسول الله (ص) ؟؟

قالوا : بلى .

قال : فعليٌّ بذلك أرضى . كتب كاتب رسول الله يوم الحديبية ، إذ كتب إلى سهيل بن عمرو ، وصخر بن حرب ، ومن قبلهما من المشركين ، : من محمدٍ رسول الله ؛ فكتبوا إليه : لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، فأكتب إلينا : من محمد بن عبد الله لنجيبك . فمحا رسول الله (ص) اسمه بيده ، وقال : إن اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي وأمري ؛ فكتب من محمد بن عبد الله ، وكذلك كتب الأنبياء ، كما كتب رسول الله (ص) إلى الآباء ، ففي رسول الله (ص) أسوة حسنة .

وأما قولكم : إني لم أضربكم بسيفي يوم صفين ، حتى تفيئوا إلى أمر الله ، فإن الله جل وعز يقول : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾[1] وكنتم عدداً جماً ، وأنا وأهل بيتي في عدة يسيرة .

وأما قولكم : إني حكَّمت الحكمين ، فإن الله عز وجل حكم في أرنبٍ يباع بربع درهم ، فقال : ﴿ **يحكم به ذوا عدلٍ منكم** ﴾[2] ، ولو حكم الحكمان بما في كتاب الله لما وسعني الخروج من حكمهما .

وأما قولكم : إني كنتُ وصياً فضيعت الوصية ، فإن الله

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٥ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٩٥ .

عز وجلٍ يقول : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾[1] ، أفرأيتم هذا البيت ، لو لم يحجج إليه أحد كان البيت يكفر ؟ إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر ، وأنتم كفرتم بترككم إياي لا أنا كفرت بتركي لكم .

فرجع يومئذٍ من الخوارج ألفان ، وأقام أربعة آلاف ، والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس ، فأقامت مقدار ساعتين من النهار ، فقتلوا من عند آخرهم ، ولم يفلت من القوم إلا أقل من عشرة ، ولم يُقتل من أصحاب علي ، إلا أقل من عشرة .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

١٣ ـ وقعة النهروان(*)

لما عزم علي (ع) على الخروج من الكوفة إلى الحرورية[١] ، قال لأصحابه : أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به ، فإنه يكفي ممن سواه .

ثم أتى أهل النهر ، فوقف عليهم ، فقال : أيتها العصابة التي أخرجتها عداوة المراء واللجاجة ، وصدَّها عن الحق الهوى ، وطمح بها النزق[٢] ، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إني نذيرٌ لكم أن تصبوا ، تلفيكم الأمة غداً صرعى ، بأثناء هذا النهر . . . بغير بيّنة من ربكم ، ولا برهان بين . ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم

(*) الطبري : ابن جرير ، تاريخ الطبري ، ج٥ ، ص ٨٤ ، وأمين : أحمد ، فجر الإسلام ، ص ٢٥٧ ، والأمين : السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ج٣ ، ص ٢٢٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، مجلد١ ، ص ٤٢٢ .

(١) الحرورية من الخوارج : منسوبون إلى حروراء ، موضع بظاهر الكوفة ، نسبوا إليه ، لأنه كان أول اجتماعهم به .

(٢) النزق : الخفة في كل أمر ، العجلة في جهل وحمق .

أن طلب القوم إياها منكم ، وهنٌ ومكيدة لكم ، ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وإني أعرف بهم منكم ، عرفتهم أطفالاً ورجالاً ، فهم أهل المكر والغدر ، وإنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم ! فعصيتموني ، حتى إذا أقررت بأن حكَّمت ، فلما فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذته على الحكمين ، أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفوا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، فنبذنا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأول ، فما الذي بكم ؟ ومن أين أتيتم ؟ .

قالوا : إنَّا حكَّمنا ، فلما حكَّمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا ، فإن تبت كما تبنا فنحن منك ومعك ، وإن أبيت فاعتزلنا ، فإنا منابذوك على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .

فقال علي (ع) : أصابكم حاصب ، ولا بقي منكم وابر[1] أَبَعْدَ إيماني برسول الله (ص) وهجرتي معه ، وجهادي في سبيل الله ، أشهد على نفسي بالكفر ! لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ؛ ثم قال : يا هؤلاء ، إن أنفسكم قد سوَّلت لكم ، فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها ، وسألتموها وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن القوم سألوكموها مكيدة ودهناً[2] ، فأبيتم عليَّ إباء المخالفين ، وعدلتم عني عدول النكداء

---

(١) يُقال : ما بالدار وابر : أي ما بها أحد .

(٢) دهنه دهناً : خدعه وختله وأظهر له خلاف ما يضمر .

العاصين ، حتى حرفت رأيي إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشر أخفاء الهام ، سفهاء الأحلام ، فلم آتِ ـ لا أبا لكم ـ حراماً ، والله ما خبلتكم[1] عن أموركم ، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم عشوة[2] ، ولا وفيت لكم الفرّاء ، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً ، فاجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ، ولا يعدواه ، فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه ، وكان الجور هواهما ، وقد سبق أستيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل ، والصد للحق سوء رأيهما ، وجور حكمهما ، والثقة في أيدينا لأنفسنا ، حين خالفا سبيل الحق ، وأتيا بما لا يُعرف ، فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروج عن جماعتنا ، إن اختار الناس رجلين ، أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناس ، تضربون رقابهم ، وتسفكون دماءهم ! إن هذا لهو الخسران المبين . والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ! .

فتنادوا : لا تخاطبوهم ، ولا تكلموهم ، وتهيأوا للقاء الرب ، الرواحَ الرواحَ إلى الجنة .

فخرج عليٌّ (ع) فعبأ الناس ، وعبأت الخوارج ، ثم التفت علي (ع) إلى أصحابه وقال : « لا تبدأوهم بقتال حتى

---

(١) حبله : أفسده .

(٢) العشوة : ركوب الأمر على غير بيان . يُقال : (أوطأه عشوة) أي أمراً ملتبساً وذلك إذا أخبره بما أوقعه به في حيرة أو بلية .

يبدأوكم » .

فحمل منهم رجل على صف علي (ع) فقتل منهم ثلاثة ، ثم قال :

أقتلهم ولا أرى علياً ولو بدا أوجرته الخطيا

فخرج إليه علي (ع) ، فضربه فقتله ، ثم التفت إلى أصحابه فقال لهم : احملوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة ، فأنا أول من يشد عليهم ، وحمل بذي الفقار ، حملة منكرة ثلاث مرات كل حملة يضرب به ، حتى يعوج متنه ، ثم يخرج فيسويه بركبتيه ، ثم يحمل به ، وحمل أصحابه فطحنوهم طحناً ، فقُتل من أصحاب علي (ع) تسعة ، وأفلت من الخوارج ثمانية .

وقد ذكر بعض المؤرخين ، أنه عندما تنادى الخوارج ، الرواحَ الرواحَ إلى الجنة ، فشدُّوا على الناس والخيل أمام الرجال ، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل ، وعطفت عليهم الخيل ، من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم ؛ ثم أن صاحب خيلهم ، لما رأى الهلاك ، نادى أصحابه أن أنزلوا ؛ فذهبوا لينزلوا ، فلم يستقروا حتى حملت عليهم الخيل ، فاهمدوا في الساعة .

ولما فرغ علي (ع) من أهل النهر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله قد أحسن بكم ، وأعزَّ نصركم ، فتوجهوا من فوركم إلى عدوكم بالشام .

قالوا : يا أمير المؤمنين نفذت نبالنا ، وكلَّت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، فارجع بنا إلى مصرنا ، فلنستعد ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا .

ثم مرَّ علي (ع) بالقوم وهم صرعى ، فقال : بؤساً لكم لقد ضرَّكم من غرَّكم .

فقال أصحاب علي : يا أمير المؤمنين ، من غرَّهم ؟ .

فقال (ع) : الشيطان ، وأنفس بالسوء أمَّارة ، غرَّتهم بالأماني ، وزينت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون . وطُلب من به رمق منهم ، فكانوا أربعمئة رجل ، فأمر بهم علي (ع) ، فدفعوا إلى عشائرهم ، وقال : احملوهم معكم فداووهم ، وإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة ، وخذوا ما في عسكرهم من شيء .

وأما السلاح والدواب ، وما شهدوا به عليه الحرب ، فقسمه بين المسلمين . وأما المتاع والعبيد والإماء ، فإنه حين قدم ردَّه على أهله .

١٤ ـ ذكر مقتله (ع)(*)

لقد اجتمع بمكة نفر من الخوارج ، فتذاكروا أمر المسلمين ، فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم ، وذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم ، وقال بعضهم لبعض : فلو أنا شرينا أنفسنا لله ، فأتينا أئمة الضلال وطلبنا غرَّتهم ، فأرحنا منهم العباد والبلاد ، وثأرنا بإخواننا الشهداء بالنهروان ، فتعاقدوا على ذلك .

فقال عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله : أنا أكفيكم علياً . وقال البرك بن عبد الله التميمي : أنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو بن بكر التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاقدوا وتوافقوا على الوفاء ، أن لا ينكل واحد منهم عن صاحبه ، الذي يتوجه إليه ولا عن قتله ، واستعدوا لشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم علياً عليه السلام .

وأما صاحب معاوية ، فإنه قصده ، فلما وقعت عينه

(*) الأصبهاني : أبو الفرج ، مقاتل الطالبيين ص ٢٠ ، والمسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٤٢٣ .

عليه ، ضربه فوقعت ضربته في إليته ، وأُخذ فجاء الطبيب إليه ، فنظر إلى الضربة وقال لمعاوية : إن السيف مسموم ، فاختر ، إما أن أُحمي لك حديدة فأجعلها في الضربة فتبرأ ، وإما أن أسقيك دواءً فتبرأ وينقطع نسلك .

قال : أما النار فلا أُطيقها ، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما يقر عيني ، وحبي بهما فسقاه الدواء فعوفي ، وعالج جرحه حتى التأم ، ولم يولد بعد ذلك .

وقد روى بعض المؤرخين أن البرك بن عبد الله التميمي ، قال لمعاوية : إن لك عندي بشارة .

قال : وما هي ؟

فأخبره بخبر صاحبيه ، وقال له : إن علياً يُقتل في هذه الليلة ، فأحبسني عندك ، فإن قُتل فأنت وليٌّ ، ما تراه في أمري ، وإن لم يُقتل ، أعطيتك العهود والمواثيق ، أن أمضي فأقتله ثم أعود إليك ، فأضع يدي في يدك حتى تحكم فيَّ بما تراه ، فحبسه عنده ، فلما أتاه أن علياً قد قُتل خلّى سبيله .

وأما صاحب عمرو بن العاص ، فإنه وافاه في تلك الليلة ، وقد وجد علة فأخذ دواء ، واستخلف رجلاً يُصلي بالناس ، يُقال له خارجة بن أبي حبيبة ، فخرج للصلاة ، فشد عليه عمرو بن بكر ، فضربه بسيفه فأثبته ، وأُخذ الرجل فأُتي به عمرو بن العاص ، فقتله .

أما بشأن أمير المؤمنين (ع) ، فقد قدم عبد الرحمن بن

ملجم الكوفة ، فلقي بها أصحابه وكتمهم أمره ، وطوى عنهم ما تعاقد هو وأصحابه عليه بمكة ، من قتل أمراء المسلمين ، مخافة أن ينشر منه شيء ، وأنه زار رجلاً من أصحابه ذات يومٍ من تيم الرباب ، فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب ، وكان علي (ع) قد قتل أباها وأخاها بالنهروان ، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها ، فلما رآها ابن ملجم ، لعنه الله ، شغف بها واشتد إعجابه ، فخبر خبرها فخطبها ؛ فقالت له : أنا محتكمة عليك ، ثلاثة آلاف درهم ، ووصيفاً وخادماً ، وقتل علي بن أبي طالب .

فقال لها : لكَ جميع ما سألتِ . فأمَّا قتل عليَّ فأنَّى لي بذلك ؟! .

فقالت : تلتمس غرته ، فإن أنت قتلته شفيت نفسي وهنأت العيش معي . وإن قُتلت ، فما عند الله خيرٌ لك من الدنيا .

فقال : والله ما جاء بي إلى هذا المصر ، وقد كنتُ هارباً منه ، إلا ذلك ، وقد أعطيتكِ ما سألتِ ، وخرج من عندها يقول :

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينة
وقتل عليٍّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من عليٍّ وإن غلا
ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع ، يُقال له شبيب بن نجدة من الخوارج ، فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟

فقال : وما ذاك ؟

قال : تساعدني على قتل علي .

قال : ثكلتك أمك ! لقد جئت شيئاً إدا ، وقد عرفت بلاءه في الإسلام ، وسابقته مع النبي (ص) .

فقال ابن ملجم : ويحك ! أما تعلم أنه قد حكَّم الرجال في كتاب الله ، وقتل إخواننا المصلين ؟ فنقتله ببعض إخواننا .

فأقبل معه حتى دخل على قَطَام . . . فدعت لهما بحرير فعصبتهما وأخذا سيفيهما وقعدا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي للمسجد . وكان علي (ع) يخرج كل غداة ، أول الأذان يوقظ الناس للصلاة ، فخرج في تلك الليلة كالعادة ، في الغلس ، فتبعه إوزٌّ كنَّ في الدار فصحن ؛ فقال (ع) : صوائح تتبعها نوائح ؛ ثم خرج يُنادي : أيها الناس ، الصلاة .

فشد عليه ابن ملجم ، وضربه على رأسه بالسيف في قرنه ، فسقط (ع) وصاح : لا يفوتنكم الرجل .

وشدَّ الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ، ويتناولونه ويصيحون ؛ فضرب ساقه رجلٌ من همدان برجله ، وابتدره الناس من كل جانب ، فجعل لا يقرب منه أحد إلا نفحه بسيفه ، فبادر إليه قثم بن العباس ، فاحتمله وضرب به

الأرض ؛ فصاح : يا علي نحِّ عني كلبك . وأُتي به إلى علي (ع) ، فقال (ع) : ابن ملجم ؟!

قال : نعم .

قال (ع) يا حَسَن شأنك بخصمك ، فاشبع بطنه ، واشدد وثاقه ؛ فإن أنا متُّ فألحقه بي أخاصمه عند ربي ، وإن عشت فعفو أو قصاص ؛ وأقام يومين ، ومات ليلة الجمعة لأحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وولي غسله ابنه الحسن (ع) وعبد الله بن عباس ، وكُفن في ثلاثة أثواب ، وصلى عليه ابنه الحسن ودُفن في الرحبة ، مما يلي أبواب كندة ، عند صلاة الصبح .

ودعا الحسن (ع) بعد دفنه بابن ملجم ـ لعنه الله ـ فأُتي به ، فأمر بضرب عنقه ، فقال له : إن رأيت أن تأخذ عليَّ العهود أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك ، بعد أن أمضي إلى الشام ، فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية ، فإن كان قتله ، وإلا قتلته ثم أعود إليك ، تحكم فيَّ بحكم .

فقال له الحسن (ع) : هيهات . والله لا تشرب الماء البارد أو تلحق روحك بالنار ، ثم ضرب عنقه ، فاستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه ، فوهبها لها فأحرقتها بالنار .

الباب الثاني

صور الحياة

الفصل الأول :

ـ مضامين نهج البلاغة والمبادىء الإسلامية .
ـ كلامه (ع) أعلى طبقات الفصاحة بعد القرآن والحديث .

مضامين نهج البلاغة والمبادىء الإسلامية

إن كتاب « نهج البلاغة » قد احتوى من حقائق البلاغة وشؤون البيان ما لم يبلغ حصره الفكر ، وجمع من دقائق الفصاحة وفنون المعاني ما لا يصل إليه النظر ، ووجدت فيه كلماتٍ لم تتكلم بها العرب في الجاهلية ولا في الإسلام ، وتضمن من أسرار العربية والمحاسن البديعية ما يعجز عن تقريره لسان .

هو نهج العلم والعمل ، وسبيل النجاة وغاية الأمل ، وهو بليغ لأعلى مدارج الإعجاز في البلاغة ، وبليغ في لفظه ومعناه وفي رميه ومرماه ، وفي كل ما يمكن أن يعبر عنه من الحقائق الغيبية والمعارف الآلهية العالية ؛ وهو بلال كل غلة وشفاء كل علة ، وجلاء كل شبهة .

حكمُ الحقِ فيه محكمة ، وحاجة العالِم والمتعلم من معانيه وأنواره ساطعة ، وبغية البليغ والزاهد من أنوار هداه متلألئة ؛ ولقد طاب لأهل الفضائل نهجه وبلاغته .

إنه مجموع ما وصل إلينا من الخطب والرسائل ، والأقوال المأثورة والحِكَم والنصائح والوصايا ، التي رويت عن لسان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) جمعها الشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٤ هـ .

لقد اتجه الإمام علي (ع) في « نهج البلاغة » اتجاهاً دينياً ، لا يخرج عما أقرَّه الدين الإسلامي ، ودعت إليه شريعة صاحب الرسالة محمد (ص) ؛ فالكتاب حثٌّ على الجهاد ، ودعوةٌ إلى سبيل الله ، وإخبار عن كثيرٍ من أمور الغيب ، الذي يقول عنه (ع) : ليس هو بعلم بغَيب ، وإنما هو تعلم من ذي علم ؛ وعرضٌ لأحداث الإسلام والمسلمين ، وآراء حكيمة صائبة ، تتوزع في جميع ميادين الحياة وما بعد الحياة .

ويمكن تقسيم محتويات الكتاب على العناوين التالية :

١ ـ الكلام في التوحيد والعدل وصفات الباري تعالى وتنزيهه عن شبه الخلق .

٢ ـ الخطب الدينية في الوعظ والترغيب والترهيب والأخلاقيات ومدح العلم وذم الدنيا .

٣ ـ الخطب السياسية وخطب الحروب والتظلم .

٤ ـ الأدعية .

٥ ـ الوصايا .

٦ ـ الصفات ـ كوصف الخفاش والنملة والجرادة والطاووس والجنة وغير ذلك .

٧ ـ الملاحم .

٨ ـ الكتب والرسائل .

٩ ـ الحِكَم القصيرة والأمثال .

ولقد حوى الكتاب من نفائس الكلام ، ما استحق به أن يُسمى « نهج البلاغة » بحق ، فاشتهر في جميع الأقطار والأمصار ، اشتهار الشمس في رائعة النهار ، وقد شرحه كثير من أعاظم العلماءَ ، منهم علي بن الناصر ، المعاصر للشريف الرضي ، وهو أول من شرحه ، والشيخ محمد عبده ، مفتي الديار المصرية ، آخر من شرحه .

لقد تناول كتاب « نهج البلاغة » جماعة بالإنكار ، فنسبه بعضهم إلى جامعه ، وهو الشريف الرضي ، وأنه ليس من كلام من نسب إليه ، وأخطأ البعض الآخر في اسم جامعه ، فنسبه إلى الشريف المرتضى أخي الشريف الرضي ، وادعى أنه من وضعه لا من كلام علي . وقال فريقٌ ثالث : أنه قد أُدخل فيه ما ليس من كلام علي (ع) . وادعى فريقٌ آخر ، أن كلامه ركيك وأنه ليس من نفس القرشيين . وكثر الكلام من هؤلاء المنكرين ، وتعددت سبلهم ومناهجهم في آرائهم .

ومما لا يدع مجالاً للشك ، أن الباعث لهؤلاء على الإنكار ، إنما هو اشتماله على ما يعدونه قدحاً في الصحابة المقدسين عن كل قدح ، كالذي اشتملت عليه الخطبة الشقشقية وما شابهها ؛ هذا هو الباعث لا أقل ولا أكثر .

وقد سُئل الأمير شكيب أرسلان ، في بعض المجالس الأدبية عن رأيه بكتاب « نهج البلاغة » ، بعد أن قال أحدهم أن الكتاب موضوع على لسان علي (ع) ، وأن واضعه هو الشريف الرضي ، فقال : « إن الشريف الرضي لو قسم أربعين رجلاً ، ما استطاع أن يأتي بخطبة واحدة قصيرة كانت أم كبيرة ، من خطب « نهج البلاغة » أو جملة من جمله ، وإن « نهج البلاغة » هو من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) لا يشك في ذلك مسلم أو منصف .

كلامه (ع) أعلى طبقات الفصاحة بعد القرآن والحديث

إذا تأمل المتأمل ، وفكَّر المتفكر ، وتبصر الناقد في كلام أمير المؤمنين (ع) ، لم يعترضه أدنى شك في أنه كلامُ من لا حظَّ له في غير الزهادة ، ولا شغل له بغير العبادة ، تزينه الفضائل العجيبة ، ويسمو بالخصائص اللطيفة ؛ هو غاية في المحاسن الدائرة ، ومثل أعلى بالفضائل الجمة ، . . . هو خطيب الحكمة والموعظة الحسنة ، يُعرِّف أولياءَ الأمة مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الإرتياب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم حقائق طرق الكياسة . . . هو البحر الذي لا يساجل[1] والجم الذي لا يُحامل[2] . . . لم يترك غرض من أغراض الكلام إلا أصابه ، ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه .

كلام أمير المؤمنين (ع) أشرف الكلام ، بعد كلام الله تعالى ، وكلام نبيه محمد (ص) ، وأغزره مادة ، وأرفعه

---

(١) لا يغالب في الامتداد وكثرة الماء .
(٢) لا يغالب في الكثرة .

وقد سُئل الأمير شكيب أرسلان ، في بعض المجالس الأدبية عن رأيه بكتاب « نهج البلاغة » ، بعد أن قال أحدهم أن الكتاب موضوع على لسان علي (ع) ، وأن واضعه هو الشريف الرضي ، فقال : « إن الشريف الرضي لو قسم أربعين رجلاً ، ما استطاع أن يأتي بخطبة واحدة قصيرة كانت أم كبيرة ، من خطب « نهج البلاغة » أو جملة من جمله ، وإن « نهج البلاغة » هو من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) لا يشك في ذلك مسلم أو منصف .

كلامه (ع) أعلى طبقات الفصاحة بعد القرآن والحديث

إذا تأمل المتأمل ، وفكَّر المتفكر ، وتبصر الناقد في كلام أمير المؤمنين (ع) ، لم يعترضه أدنى شك في أنه كلامُ من لا حظَّ له في غير الزهادة ، ولا شغل له بغير العبادة ، تزينه الفضائل العجيبة ، ويسمو بالخصائص اللطيفة ؛ هو غاية في المحاسن الدائرة ، ومثل أعلى بالفضائل الجمة ، . . . هو خطيب الحكمة والموعظة الحسنة ، يُعرِّف أولياءَ الأمة مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الإرتياب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم حقائق طرق الكياسة . . . هو البحر الذي لا يساجل[1] والجم الذي لا يُحامل[2] . . . لم يترك غرض من أغراض الكلام إلا أصابه ، ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه .

كلام أمير المؤمنين (ع) أشرف الكلام ، بعد كلام الله تعالى ، وكلام نبيه محمد (ص) ، وأغزره مادة ، وأرفعه

---

(١) لا يغالب في الامتداد وكثرة الماء .
(٢) لا يغالب في الكثرة .

أسلوباً ، وأجمعه لجلائل المعنى ، يمتاز بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة ، عليه مسحة من العلم الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي . . . اجتمعت فيه عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ، في كل ضربٍ من ضروب الكلام ، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام غيره ، ولاً مجموعاً لدى أحد سواه .

لقد اجمع العلماء قاطبة لا يشك بذلك مسلم ، أن أمير المؤمنين (ع) مَشْرَعُ الفصاحة ، ومُنشأ البلاغة ، ظهر منه مكنونها ، وأخذت عنه قوانينها ؛ وكان ابن عباس ـ رحمه الله ـ يقول : « ما اتعظت بكلام قط ، إتعاظي بكلام أمير المؤمنين (ع) » .

وهكذا ، فإن كتاب « نهج البلاغة » يُعتبر مفخرة من مفاخر العرب والإسلام ، لا يمكن له أن يوصف بأزيد مما يدل عليه اسمه ، ورغم ذلك تناوله جماعة بالإنكار ، فنسبوه إلى غير علي (ع) ، إلا أن المتأمل والمتفكر والمتبصر في الدقائق والحقائق ، إذا نظر بعين العدل والإنصاف ، وجد أن من نسب إليهم لا يستطيعون أن يأتوا بخطبة واحدة من مثله ، قصرت تلك أم طالت ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

لذا ، فإن اللسان ليعجز ، والقلب سيقف حائراً ، عن أداء الموقف ما يستحق من التعبير ، عن الجوهر الكريم ، والسر العظيم ، ومعدن الفهم ، وينبوع الفضل ، ومعين الكمال الذي لا ينضب .

وبعبارةٍ موجزة ، فإن كتاب « نهج البلاغة » خير شاهدٍ من علي (ع) على علي (ع) كسائر كلامه ، أنه بعد كلام رسول الله (ص) رتبة ، هو فوق كلام المخلوق ، ودون كلام الخالق ، لا يرتاب في ذلك إلا أمثال من يريد التشكيك في الشمس الضاحية .

الفصل الثاني :

الخُطـــب

الخطب

لقد أجمع الكتّاب والمفكرون ، واشتهر عن كثير من السلف والخلف ، أن كلام أمير المؤمنين (ع) ، هو في أعلى درجات الفصاحة والبُعد عن التقعر والتعقيد ، والكلام الوحشي الغريب .

فإذا تأملت في كلامه ، وخطبه وأقواله ، يصعب عليك أن تجد له نظيراً أو نداً ، ولا يمكن لك إلا التسليم ، بأن ليس بعده كلام أفصح منه ، ولا أجزل ولا أعلى ، ولا أفخم ولا أنبل ، اللهم إلا أن يكون كلام ابن عمه رسول الله (ص) ، فهذا أمرٌ لا يمكن أن يحدده أو يعلمه ، إلا من ثبتت له قدم راسخة ، في علم صناعة الكلام ، إذ لا يصلح لانتقاد الجوهر والذهب الخالص ، إلا من كانت له الخبرة والبصيرة في هذه المادة ، وفي هذا المضمار ، إذ أن لكل صناعة أهلاً ، ولكل عملٍ رجالاً ، وإن كلام علي (ع) لهو في أوج المقامات الرفيعة والمكان الكريم ، ومهما أوتيت من العلم والقدرة على التعبير ، لا يمكن لي الإرتقاء ، إلى درجات العظمة والمجد والرفعة ، لتأدية ما يُناسب المقام من المقال ، لكن سأحاول

جهدي ، استمد العون من الله سبحانه ، عسى أن أقرب من هذا رشداً .

لقد كانت ، ولا تزال ، وستبقى ما بقي الليل والنهار ، خطب أمير المؤمنين (ع) ، دواءً للنفوس ، وشفاءً للصدور ، حيث تناولت أسباب الدين والدنيا ، وأخذت من كل أمر بنصيب ، فتنوعت عباراتها ، وتعددت مضامينها ، فكانت جامعة شاملة .

لقد تحدث (ع) عن الله ، فمجده في عرشه ، وبيّن قدرته في خلقه السموات والأرض ، والإنسان وسائر المخلوقات ، فدعا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والتضرع إليه ، والتوكل عليه في جميع الأمور ، والتمسك بحبله المتين . ووصف الإنسان ، وخلق آدم ، كما وصف الطاووس وسائر أنواع المخلوقات .

وتحدث عن الأنبياء والمرسلين ، ومما كان لهم ولشرائعهم من شأن ، وأخص بالذكر شريعة سيد المرسلين ، وخاتم الأنبياء محمد (ص) ، وبيّن مزايا آل بيت الرسول (ص) ، وصوّر حال الدنيا وإدبارها ، وإقبال الآخرة داعياً إلى التزود لها ، وذكر حال الناس في العمل للدنيا ، ودعاهم للتبصر بعواقب الأمور ، فعمد إلى دعوة الناس إلى سبيل الله واتباع طريق الحق والهدى ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وحث الناس على الجهاد ونصرة الإسلام والمسلمين ، ودعا إلى قتال الخارجي ، ولم ينسَ دعوة الناس في كل مقام إلى التمسك

بمبادىء الإسلام ، والذود عن حياض الشريعة ، والتجمل بمكارم الأخلاق ، فصوَّر طبائع الناس ، واختلافهم في الأهواء والميول ، فنهى عن الفتن ، والتحاسد والتباعد ، والتنافر ، وذم أتباع الشيطان ، فأوضح صور الأعداء ، وكشف سرائر أصحابه ، فوصفهم على حقيقتهم .

وكان للموت وما بعد الموت ، نصيب وافر في خطاباته ومقالاته ، فتحدث عن الموت وما بعد الموت ، ووصف ملك الموت داعياً الناس إلى أخذ العبرة .

كما أوصى بالقرابة والعشيرة ، ووصف المتقين والزاهدين والمؤمنين ، وأوضح صورة المنافقين والخارجين والكافرين ؛ فكان خير معلم تخرّج من مدرسة سيد المرسلين ، ونهل من حياض الشريعة ، حمل الأمانة ، وأدى الرسالة وأخلص العبادة .

مختارات من خطبه

١ ـ من خطبة له (ع)
في فرائض الإسلام(*)

إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه ، الإيمان به وبرسوله ، والجهاد في سبيله ، فإنه ذروة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، فإنها الفِطرة ، وإقام الصلاة فإنها الملة ، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة ، وصوم شهر رمضان ، فإنه جُنَّة من العِقاب ، وحجُّ البيت واعتماره ، فإنهما ينفيان الفقر ، ويرحضان(١) الذنب ، وصلة الرحم فإنها مثراة في المال ، ومنسأة(٢) في الأجل ، وصدقة السرِّ فإنها تكفِّر الخطيئة ، وصدقة العلانية ، فإنها تدفع ميتة السوء ، وصنائع المعروف ، . فإنها تقي مصارع الهوان .

أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد المتقين ، فإن وعده أصدق الوعد ، واقتدوا بهدي نبيكم فإنه

(*) نهج البلاغة ، ج١ ، ص ١٩٥ .
(١) رحضه : غسله .
(٢) منسأة : مطال فيه ومزيد .

أفضلُ الهَدْي ، واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن ، وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص ، فإن العالِم العامل بغيرِ علمه ، كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحُجَّة عليه أعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله ألوم[1] .

---

(١) ألوم : أشد لوماً لنفسه بين يدي الله .

٢ ـ من خطبة له (ع) : الجهاد(*)

أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ؛ وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة[١] ، فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله ثوب الذلّ ، وشمله البلاء[٢] . وديث بالصغار والقماء[٣] ، وضرب على قلبه بالأسداء[٤] وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسِيمَ الخسف ومنع النصف[٥] .

ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم[٦] ، ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم والله ما

(*) المصدر عينه ص ٧٠ .
(١) الجُنة : الستر .
(٢) شملة البلاء : عمته المصائب .
(٣) ديث : ذلل ، الصغار والقماء : الذُّل والتضاؤل .
(٤) الأسداد : جمع سد ، وضرب على قلبه بالأسداد ، جعل بينه وبين الحق ستاراً .
(٥) أديل : أخذ . النصف : الإنصاف ، الخسف : الذل .
(٦) يقصد أهل الشام .

غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلُّوا[1] ؛ فتواكلتم وتخاذلتم ، حتى شُنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان . . . .

فيا عجباً ! عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم ، اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحاً[2] حين صرتم غرضاً يرمى ، يُغار عليكم ولا تغيرون ، وتُغزون ولا تَغْزون ، ويُعصى الله وتَرضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء ، قلتم : « هذه حمَّارة القيظ[3] أَمهِلنا يُسبَّخ عنا الحر »[4] . وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء ، قلتم : « هذه صبَّارة القُرِّ[5] أمهلنا ينسلخ عنا البرد » كل هذا فراراً من الحرِّ والقُرِّ ، فإذا كنتم من الحر والقُرِّ تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر .

يا أشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال[6] . . . قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، . . . وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : « إن ابن أبي طالب ،

---

(١) عُقر الدار بالضم : وسطها وأصلها .
(٢) ترحاً : أي هماً وحزناً أو فقراً ، والغرض : ما يُنصب ليرمى بالسهام ونحوها .
(٣) حمارة القيظ : شدة الحر .
(٤) التسبيخ بالخاء المعجمة : التخفيف والتسكين .
(٥) صبارة الشتاء : شدة البرد . والقُرُّ : البرد .
(٦) ربات الحجال : النساء ، الحجال : جمع حجلة وهي القبة وموضع يزين بالستور والثياب للعروس .

رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب .

لله أبوهم !! وهل أحد منهم ، أشد لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني[1] ، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنذا قد ذرَّفت على الستين[2] ولكن لا رأي لمن لا يطاع » .

---

(١) المراس : المعاناة .

(٢) ذرَّفت على الستين : زدت عليها .

٣ ـ من خطبة له (ع) في النهي عن التحاسد والوصية بالقرابة والعشيرة(*)

أما بعد : فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ، كقطرات المطر ، إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان ، فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة[1] ،في أهل أو مال أو نفس ، فلا تكونن له فتنة ، فإن المرأ المسلم البريء من الخيانة ، ما لم يغش دناءة تظهر ، فيخشع لها إذا ذكرت ، ويُغرى بها لئامُ الناس ، كان كالفالج الياسر[2] الذي ينتظر أول فورة من قداحه ، توجب له المغنم ، ويرفع بها عنه المغرم ، وكذلك المرء المسلم ، البريء من الخيانة ، ينتظر من الله إحدى الحسنيين : إما داعي الله ، فما عند الله خير له ، وإما رزق الله ، فإذا هو ذو أهل ومال ، ومعه دينه وحسبه . إن المال والبنين حرث الدنيا ، والعمل الصالح حرث الآخرة ، وقد يجمعهما الله لأقوامٍ ، فأحذروا من الله ما حذّركم من

(*) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

(١) غفيرة : زيادة وكثرة .

(٢) الفالج : الظافر . والياسر : الذي يلعب بقداح الميسر أي المقامر .

نفسه ، واخشوه خشية ليست بتعذير[1] ، واعملوا في غير رياء ولا سمعة ، فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له[2] . نسأل الله منازل الشهداء ، ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء .

أيها الناس ! إنه لا يستغني الرجل ، وإن كان ذا مال ، عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم ، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه[3] ، وألَمّهم لشعثه ، وأعطفهم عليه ، عند نازلة إذا نزلت به . ولسان الصدق ، يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يُورثه غيره[4] .

ألا لا يعدِلَنَّ أحدكم عن القرابة ، يرى بها الخصاصة ، أن يسدَّها بالذي لا يزيده إن أمسكه ، ولا ينقصه إن أهلكه[5] . ومن يقبض يده عن عشيرته ، فإنما تُقبض عنهم يدٌ

---

(١) مصدر عذر تعذيراً : لم يثبت له عذر ، أي خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار .

(٢) العامل لغير الله ، لا يرجو ثواب عمله من الله ، وإنما يطلبه ممن عمل له ، فكأن الله قد تركه إلى من عمل له وجعل أمره إليه .

(٣) حيطة : مصدر حاطه يحوطه : أي صانه وتعطف عليه وتحنن . والشَّعَث بالتحريك : التفرق والإنتشار .

(٤) لسان الصدق : حسن الذكر بالحق وهو في القرابة أولى وأحق .

(٥) الخصاصة : الفقر والحاجة الشديدة . ينهي أمير المؤمنين (ع) عن إهمال القريب إذا كان فقيراً ، ويحث على سد حاجته بالمال وأنواع المعاونة ، فإن ما يبذل في سد حاجة القريب ، لو لم يصرفه في هذا السبيل وأمسكه لنفسه ، لم يزده في غناه أو في جاهه شيئاً ، ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك . ومعنى أهلكه : بذله .

واحدة ، وتُقبض منهم عنه أيدٍ كثيرة ، ومن تلِنِ حاشيته ، يستدم من قومه المودة .

٤ ـ من خطبة له (ع) في تمجيد الله(*)

الحمد لله العلي عن شَبَهِ المخلوقين[١] ، الغالب لمقال الواضعين ، الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين ، الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين ، العالِم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علمٍ مستفاد ، المقدر لجميع الأمور بلا روية ولا ضمير ، الذي لا تغشاه الظُلَم ، ولا يستضي بالأنوار ، ولا يرهقه ليل[٢] ، ولا يجري عليه نهار ، ليس إدراكه بالأبصار ، ولا علمه بالأخبار .

(منها في ذكر النبي (ص) : . . . أرسله بالضياء ، وقدَّمه في الإصطفاء ، فرتق به المفاتق[٣] ، وساور به المغالب ، وذلل به الصعوبة ، وسهَّل به الخُزونة ، حتى سرَّح الضلَّال ، عن يمين وشمال .

(*) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٧ .

(١) شبه (بالتحريك) : أي مشابهة .

(٢) رهقه : غشيه .

(٣) الرتق : سد الفتق . والمفاتق : مواضع الفتق .

٥ ـ ومن خطبة له (ع)
لما أراد المسير إلى البصرة(*)

. . . قام (ع) خطيباً في الناس بعد أن حمد الله وصلى على رسوله ، فقال :

« إن الله لما قبض نبيه (ص) . استأثرت علينا قريش بالأمر ، ودفعتنا عن حقٍ نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلكَ أفضل من تفريق كلمة المسلمين ، وسفك دمائهم ، والناس حديثو عهدٍ بالإسلام ، والدين يمحض محض الوَطْب(١) يفسده أدنى وهن ، وينكسه(٢) أقل خلق ، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء ، والله وليُّ تمحيص سيئاتهم ، والعفو عن هفواتهم ، فما بال طلحة والزبير ـ وليسا من هذا الأمر بسبيل ـ لم يصبرا عليَّ حولاً ولا أشهراً ، حتى وثبا ومرقا ونازعاني أمراً ، لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً ، بعد أن بايعاني طائعين غير

(*) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص ١٠٢ .
(١) الوطب : سقاء اللبن .
(٢) نكسه : قلبه على رأسه .

مكرهين ، يرتضعان أماً قد فَطِمت ، ويُحييان بدعة قد أُميتت ، أدَمَ عثمان زَعَما ؟ والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم ، وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم ، وأنا راضٍ بحجة الله عليهم وعلمِه فيهم ، فإن فاءا وأنابا فحظهما احرز ، وأنفسهما غنِما ، وأعظِم بهما غنيمة ، وإن أبيا أعطيتهما حد السيف ، وكفى به ناصراً الحقِّ وشافياً لباطل » ثم نزل .

الفصل الثالث :

الـوصــايا

الـوصـايا(*)

مهما بلغ الكاتب من القدرة في التعبير، سيبقى دون شك عاجزاً عن بلوغ الغاية وإدراك النهاية . . . فماذا عساي أقول فيمن هو السبيل الأعظم، والصراط الأقوم . . . الحق معه وفيه . . . والخير منه وإليه . . . الناصح لله في السر والعلانية . . . والداعي إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . . . إذا ذُكر الخير كان أصله وفرعه . . . وإذا ذُكر الرشاد كان أوله ومنتهاه . . . هو مصباح الظلام وقائد الأنام . . . جلا بكلامه الأبصار الكليلة، وشحذ بمنطقه الأذهان العليلة . . . فنبه القلوب من رقدتها . . . ونقل النفوس عن سوء عادتها . . . وشفى الأفئدة من داء قسوتها وغباوة غفلتها . . . ونهج الطريق فكان المثل الأعلى . . . وحجة الله على أهل الدنيا . . . لم تتناقض أفعاله ولم تختلف أقواله . . . أوامره الرشد ووصيته التقوى .

(*) نهج البلاغة : ج١ ، ص ٤٩ و٦٣ وج٢ ص ٢٧٦ و٣١٩ ، و٣٤٦ و٣٤٩ و٣٥٥ و٣٩١ وج٣ ص ٤١٩ و٤٢١ و٤٣٢ و٤٩٦ و٥١٥ ، وج٤ ص ٥٢٨ .

من كلامٍ له عليه السلام(*)

١ ـ من وصيته (ع) لابنه محمد بن الحنفية بالثبات والحذق في الحرب :

تزول الجبال ولا تَزُلْ ، عَضَّ على ناجذك[١] ، أعِر الله جمجمتك ، تِدْ في الأرض قدمك[٢] ، إرْمِ ببصرك أقصى القوم وغُضَّ بصرك[٣] ، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه .

٢ ـ من وصيته (ع) بالتقوى :

أوصيكم ـ عباد الله ـ بتقوى الله ، فإنها حق الله عليكم ،

---

(١) النواجذ : أقسى الأضراس أو كلها أو الأنياب ، قيل إذا عض الرجل على أسنانه اشتدت أعصاب رأسه وعظامه .

(٢) أعر : أمر من أعار ، أي بذل جمجمتك لله تعالى كما يبذل المعير ما له للمستعير ، تِدْ في الأرض قدمك : أي ثبتها .

(٣) إرم ببصرك ، أي أحط جميع حركاتهم وغض نظرك عما يخيفك من القوم .

والموجبة على الله حقَّكم[1]، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله، فإن التقوى في اليوم، الحرز والجُنَّة، وفي غدٍ الطريق إلى الجنة، مسلكُها واضح، وسالكها رابح، ومستودَعُها حافظ[2]... أيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأُشعِروها قلوبكم، وأرحضوا[3] بها ذنوبكم، وداووا بها الأسقام، وبادروا بها الحِمام[4]... ألا فصونوها وتصوَّنوا بها[5] وكونوا عن الدنيا نُزَّاهاً، وإلى الآخرة ولَّاهاً، ولا تضعوا من رفعته التقوى، ولا ترفعوا من رفعته الدنيا....

٣- من وصاياه (ع) لابنه الحسن في حفظ أربع وأربع:

يا بنيِّ! احفظ عني أربعاً، وأربعاً لا يضرُّك ما عملت معهن: إنَّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوَحشة العُجْب[6]، وأكرم الحسب حُسن الخلق.

---

(١) يريد أن التقوى جعلها الله سبباً لاستحقاق ثوابه ومعينةً على رضائه، والجُنّة، بضم الجيم، الوقاية، وبفتحها دار الثواب.
(٢) مستودع التقوى: هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله.
(٣) ارحضوا: اغسلوا.
(٤) الحِمام: الموت.
(٥) تصونوا: تحفظوا.
(٦) العُجْب: بضم فسكون. ومن أعجب بنفسه مقته الناس، فلا يوجد له أنيس، فهو في وحشةٍ دائماً..

يا بني! إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه[1] وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب.

٤ ـ ومن وصية له (ع) لعبد الله بن العباس، عند استخلافه إياه على البصرة:

سَعِ الناس بوجهك، ومجلسك، وحكمِك، وإياك والغضب، فإنه طِيرةٌ من الشيطان[2]، واعلم أن ما قربك من الله، يباعِدُك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار.

٥ ـ من وصية له (ع) لشُرَيح بن هانىء لما جعله على مقدِّمته إلى الشام:

اتقِ الله في كل صباح ومساء، وخَفْ على نفسك الدنيا الغَرُور، ولا تأمنها على حال، واعلم إنك إن لم تردع نفسك عن كثيرٍ مما تحب مخافة مكروه، سَمَتْ بك الأهواء إلى كثيرٍ من الضَّرر[3] فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك عندً

---

(١) التافه: القليل.

(٢) الطيرة: الفأل الشؤم. والغضب يتفاءل به الشيطان في نيل مأربه من الغضبان.

(٣) سمت: ارتفعت. الأهواء: جمع هوى، وهو الميل مع الشهوة حيث مالت.

الحفيظة واقماً قامعاً[1] .

٦ ـ من وصيته لولده الحسن (ع) ، عند انصرافه من صفين :

من الوالد الفان ، المقر للزمان[2] . . . إلى المولودِ المؤمِّل ما لا يُدرك[3] . . . ووجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني ، وكأن الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ، ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت إليك[4] كتابي مستظهراً به ، إن أنا بقيت لك أو فنيت .

فإني أوصيك بتقوى الله ـ أي بني ـ ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والإعتصام بحبله ، وأيِّ سببٍ أوثقُ من سببٍ بينك وبين الله إن أنت أخذت به ؟ .

أحيِ قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوِّه باليقين ، ونورهُ بالحكمة ، وذلله بذكر الموت وقرِّره بالفناء[5] ، وبصِّره فجائع الدنيا ، وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام

---

(١) النزوة ، من نزا ينزو نزواً : أي وثب . والحفيظة : الغضب ، ووقمه : قهره ، وقمعه : ردَّه وكسره .
(٢) المعترف له بالشدَّة .
(٣) يؤمل البقاء وهو مما لا يدركه أحد .
(٤) أي أوصيك . . . . وقوله مستظهراً به : أي مستعيناً بما أكتب إليك على ميل قلبك وهوى نفسك .
(٥) اطلب منه الإقرار بالفناء ، وبصره : أي اجعله بصيراً بالفجائع ، جمع فجيعة : وهي المصيبة تفزع بحلولها .

والليالي ، وأعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين ، وسر في ديارهم وآثارهم ، فانظر في ما فعلوا ، وعمَّا انتقلوا ، وأين حلُّوا ونزلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم ، فاصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والخِطاب في ما لم تكلَّف ، وأمسك عن طريقٍ إذا خفت ضلالته ، فإن الكف عند حيرة الضلال ، خيرٌ من ركوب الأهوال ، وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين[1] من فعله بجهدك ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخُض الغمرات للحق حيث كان[2] ، وتفقه في الدين ، وعوِّد نفسك التصبر على المكروه ، ونِعم الخلق التصبر في الحق ، وألجىء نفسك في الأمور كلها إلى إلهك ، فإنك تلجِئُها إلى كهف حريز[3] ومانع عزيز ، وأخلص في المسألة لربك ، فإن بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الإستخارة[4] وتفهم وصيتي ، ولا تذهبنَّ عنها صفحاً[5] فإن خير القول ما نفع . واعلم إنه لا خير في علمٍ لا ينفع ولا يُنتفعُ بعلمٍ لا يحق تعلُّمه[6] .

---

(١) باين : أي باعد وجانب الذي يفعل المنكر .
(٢) الغمرات : الشدائد .
(٣) الكهف : الملجأ . والحريز : الحافظ .
(٤) الاستخارة : إجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه .
(٥) صفحاً : أي جانباً ، أي لا تعرض عنها .
(٦) لا يحق : بكسر الحاء وضمها أي لا يكون من الحق كالسحر ونحوه .

. . . وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية : ما ألقي فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك . . . وأن أبتدئك بتعليم كتابِ الله وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره[1] .

. . . ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت إليك وصيتي هذه .

واعلم يا بني إن أحب ما أنت آخذ به إليَّ من وصيتي تقوى الله ، والإقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك ، والصالحون من أهل بيتك . . . وابدأ قبل نظرك في ذلك ، بالاستعانة بإلهك ، والرغبة إليه في توفيقك ، وتركِ كلَّ شائبة أولجتك في شبهة أو أسلمتك إلى ضلالة .

. . . واعلم يا بني إن أحداً لم ينبىء عن الله كما أنبأ عنه الرسول (ص) فارض به رائداً ، وإلى النجاة قائداً . . . .

واعلم يا بني : أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إلاه واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبداً ولم يزل . . . .

---

(١) لا أتعدى بك كتاب الله إلى غيره بل أقف بك عنده .

يا بني ! اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم ، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك[1] ولا تقل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يُقال لك . . . ولا تكن خازناً لغيرك[2] وإن أنت هُديت لقصدك ، فكن أخشع ما تكون لربك . . . واغتنم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عُسرتك . . . واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض ، قد أذن لك بالدعاء وتكفل لك بالإجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك . . . واعلم يا بني ، من كانت مطيته الليل والنهار ، فإنه يسار به وإن كان واقفاً . . . وأكرم نفسك عن كل دنية . . . ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً ، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل . . . ومن تفكر أبصر ، قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشرِّ تبن عنهم ، بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم . . . وإياك واتكالك على المُنى فإنها بضائع الموتى ، والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك . . . .

---

(١) إذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فارض بذلك ، ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم .

(٢) لا تحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون بعدك بل أنفق ، فيما يجلب رضاء الله عنك .

. . . لا تتخذنَّ عدوَّ صديقك صديقاً ، فتُعادي صديقك ، وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة . . . ولِن لمن غالظك ، فإنه يوشك أن يلين لك ، . . . وإن أردت قطيعة أخيك فاستبقِ له من نفسك بقية ، يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما[1] ، ومن ظنَّ بك خيراً فصدق ظنَّه . . . ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا ترغبنَّ فيمن زهد فيك . . . .

وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل . . . .

سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

وإياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهنَّ إلى أفن وعزمهن إلى وهن[2] ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن ، فإن شدَّة الحجاب أبقى عليهن . . . وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة[3] ، ولا تعدُ بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها ، وإياك والتغاير في غير موضع غَيْرَة[4] ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم ، والبريئة إلى

---

(١) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليه إذا ظهر له حسن العودة .

(٢) الأفَن : بالتحريك ، ضعف الرأي . والوهن : الضعف .

(٣) القهرمان : الذي يحكم في الأمور ويتصرف فيها بأمره . ولا تَعْدُ ـ بفتح فسكون ـ أي لا تجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها .

(٤) التغاير : إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب .

الرَّيب .

... وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير ، وأصْلك الذي إليه تصير ، ويدك التي بها تصول ، استودع الله دينك ودنياك ، واسأله خير القضاء لك ، في العاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة ، والسَّلام .

٧ ـ وصية له (ع) بخمسة أشياء :

أوصيكم بخمسٍ لو ضربتم إليها آباط الإبل[1] لكانت لذلك أهلاً : لا يرجون أحد منكم إلاَّ ربَّه ، ولا يخافنَّ إلا ذنبه ، ولا يستحين أحد منكم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : « لا أعلم » ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسدٍ لا رأس معه ، ولا في إيمانٍ لا صبر معه .

٨ ـ من وصية له (ع) للحسن والحسين (ع) لما ضربه ابن ملجم لعنه الله :

أوصيكما بتقوى الله ، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما[1] ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما[2] ، وقولا بالحق ،

---

(١) الأباط : جمع إبط . وضرب الآباط كناية عن شد الرحال ، وحث المسير .

لا تطلباها وإن طلبتكما .

زوى : أي قبض ونحى عنكما .

واعملا للأجر ، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً .

أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ، ومن بلغه كتابي ، بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم ، فإني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « صلاح ذات البين ، أفضل من عامة الصلاة والصيام » .

الله الله في الأيتام ! فلا تغبوا أفواههم[1] ، ولا يضيعوا بحضرتكم ، والله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم[2] ، والله الله في القرآن ! لا يسبقكم بالعمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ! فإنها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربكم ! لا تخلوه ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تُناظروا[3] ، والله الله في الجهاد بأموالكم ، وأنفسكم ، وألسنتكم في سبيل الله ! .

وعليكم بالتواصل والتباذل[4] ، وإياكم والتدابر والتقاطع ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فيولى عليكم شراركم ، ثم تدعون فلا يُستجاب لكم ، يا بني عبد المطلب لا ألفينكم[5] تخوضون دماء المسلمين خوضاً ،

---

(١) أغبَّ القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً .
(٢) يجعل لهم حقاً في الميراث .
(٣) لا يُنظر إليكم بالكرامة ، لا من الله ولا من الناس ، لإهمالكم فرض دينكم .
(٤) مداولة البذل : أي العطاء .
(٥) أي لا تخوضوا دماء المسلمين بالسفك انتقاماً منهم بقتلي .

تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا تقتلن بي غير قاتلي .

انظروا إذا أنا مُتُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثل بالرجل[1] فإني سمعتُ رسول الله (ص) يقول: « إياكم والمُثلة ولو بالكلب العقور » .

---

(١) أي لا تمثلوا به، والتمثيل: التنكيل والتعذيب، أو هو التشويه بعد القتل أو قبله بقطع الأطراف مثلاً .

الفصل الرابع :

الرسائل

الرسائل(*)

كانت رسائل الإمام (ع) كتباً موجهة إما إلى عماله، وإما إلى أعدائه في الغالب؛ وفي جميع الأحوال، كانت دعوات صريحة وجريئة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمراً بتقوى الله في السرِّ والعلانية، وخوف الله في المغيب والمشهد، والأمر باللين على المسلم، وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، وبالإنصاف للمظلوم، وبالشدة على الظالم، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان إليهم، وبالدعوة إلى طاعة الله والرسول وأُولي الأمر؛ لأن بذلك حُسن العاقبة، وعظم المثوبة.

كما كانت دعوة لتنبيه الغافلين، بما ستؤول إليه الدنيا، وكما أن الإنسان محتاج إلى نصيبه منها، إلا أنه إلى نصيبه من الآخرة أحوج، وإن العاقل من يبدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبته في الخير، بالتزود من أعمال البر والتقوى، مقرون ذلك

(*) نهج البلاغة، ج٣، ص٤٦٨، ٤٢٣، ٤٩٥.

كله بالإخلاص لله سبحانه وتعالى ، لأن الله يعطي العبد ، على قدر نيته ، لذا فعليه أن يعمل ما هو عنه مسؤول ، فإنه به رهن ، وإليه صائر ، وقد جاء في التنزيل العزيز ، قوله تعالى : ﴿ كل نفسه بما كسبت رهينة ﴾[1] ، وأن الإنسان مسؤولٌ عن الصغير والكبير في أعماله وأفعاله . فأما من اتقى الله ، وحفظ رسول الله (ص) في أهل بيته ، فقد عبده أفضل عبادة ، وجاهد بأفضل جهاد .

---

(١) سورة المدثر ، الآية ٣٨ .

١ - من كتاب له (ع) إلى أمرائه على الجيوش

من عبد الله علي أمير المؤمنين ، إلى أصحاب المسالح[١] ، أما بعد :

فإنه حقاً على الوالي أن لا يغيِّره على رعيته فضلٌ ناله ، ولا طَولٌ[٢] ، خص به ، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمة دنواً من عباده ، وعطفاً على إخوانه ، ألا وإن لكم عندي ، أن لا احتجز دونكم سراً إلا في حرب[٣] ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم[٤] ، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله ، ولا أقف

---

(١) المسالح : جمع مسلحة ، أي الثغور لأنها مواضع السلاح ، وأصل المسلحة قوم ذوو سلاح .

(٢) الطَوَل ، بفتح الطاء : عظم القص ، أي من الواجب على الوالي ، إذا خصه الله بفضل أن يزيد فضله قرباً من العباد وعطفاً على الإخوان ، وليس من حقه أن يتغير .

(٣) لا أكتم عنكم سراً إلا في الحرب فإنه خدعة . وكان النبي (ص) إذا أراد حرباً ورَى بغير .

(٤) طواه عنه : لم يجعل له نصيباً فيه ، أي لا أدع مشاورتكم في أمر =

به دون مقطعِهِ[1] ، وأن تكونوا عندي في الحق سواء ، فإذا فعلتُ ذلك ، وَجَبت لله عليكم النعمة ، ولي عليكم الطاعة ، وأن لا تنكصوا عن دعوة[2] ، ولا تفرطوا في صلاح ، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق[3] ، فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك ، لم يكن أحد أهون عليَّ ممن أعوج منكم ، ثم أُعظِم له العقوبة ، ولا يجد فيهاعندي رخصة ، فخذوا هذا من أمرائكم ، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم[4] والسلام .

= إلا في حكم صرح به الشرع في حد من الحدود مثلاً فحكم اللهً النافذ دون مشورتكم .

(١) دون الحد الذي قطع به أن يكون لكم .

(٢) أن لا تتأخروا إذا دعوتكم .

(٣) الغمرات : الشدائد .

(٤) أي خذوا حقكم من أمرائكم ، وأعطوهم من أنفسكم الحق الواجب عليكم وهو ما يصلح الله به أمركم .

٢ ـ ومن كتاب له (ع) إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة

آمُرُهُ بتقوى الله ، في سرائر أمره وخفيات عمله ، حيث لا شهيدَ غيرُه ، ولا وكيل دونه ، وآمُرُهُ أن لا يعمل بشيءٍ من طاعة الله في ما ظهر ، فيخالف إلى غيره فيما أسرَّ ومن لم يختلف سرُّه وعلانيته ، وفعله وفعالته ، فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة .

وآمُرُهُ أن لا يَجبهَهم[1] ولا يَعَضَهَهُم ، ولا يرغب عنهم تفضلاً بالإمارة عليهم ، فإنهم الإخوان في الدين ، والأعوان على استخراج الحقوق .

وإن لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً ، وحقاً معلوماً ، وشركاءَ أهل مسكنة ، وضعفاء ذوي فاقة ، وإنَّا مُوفوك حقك فوفهم حقوقهم ، وإلا تفعل ، فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة ، وبؤساً لمن خصمه عند الله الفقراء ،

---

(١) جبهه ـ كمنعه ـ : ضرب جبهته ، وعضهه : نهاه عن المخاشنة والتقريع ، ولا يرغب عنهم : لا يتجافى .

والمساكين[1] ، والسائلون ، والمدفوعون ، والغارمون ، وابن السبيل ، ومن استهان بالأمانة ، ورتع في الخيانة ، ولم ينزه نفسه ودينه عنها ، فقد أحلَّ بنفسه في الدنيا الذلَّ والخِزيَ[2] ، وهو في الآخرة أذلّ وأخزى ، وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأفظعَ الغش غِش الأئمة ، والسلام .

---

(١) بَئس بوساً : اشتدت حاجته . ومن كان خصمه الفقراء ، فلا بد أن ييأس لأنهم لا يعفون ولا يتسامحون في حقهم لتقرح قلوبهم من المنع عند الحاجة .

(٢) الخِزي جمع خَزية ـ بفتح الحاء ـ أي بلية .

٣ ـ ومن كتاب له (ع) إلى معاوية

أما بعد ! فإن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها[١] ، وابتلى فيها أهلها ، ليعلم أيهم أحسن عملاً ، ولسنا للدنيا خلقنا ، ولا بالسعي فيها أمرنا ، وإنما وُضِعَنا فيها لنُبْتَلى بها ، وقد ابتلاني الله بك ، وابتلاك بي ، فجعل أحدنا حجة على الآخر ، فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن[٢] ، فطلبتني بما لم تجنِ يدي ، ولا لساني ، وعصبته أنت وأهلُ الشام بي[٣] ، وألَّب عالمُكم جاهِلَكم ، وقائمقُكم قاعدَكم ، فاتقِ الله في نفسك ، ونازع الشيطان قيادك[٤] ، واصرف إلى لآخرة

---

(١) وهو الآخرة .

(٢) فعدوت : أي وثبت . وتأويل القرآن : صدق قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص** ﴾ : ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ وتحويله إلى غير معناه ، حيث أقنع أهل الشام أن هذا النص يخول معاوية الحق في الطلب بدم عثمان من أمير المؤمنين (ع) .

(٣) أي أنك وأهل الشام عصبتم : أي ربطتم دم عثمان بي وألزمتموني ثأره . وألَّب : حرَّض .

(٤) القياد : الزمام . ونازعه القياد إذا لم يسترسل معه .

وجهك ، فهي طريقنا وطريقُك ، واحذر أن يُصيبك الله منه بعاجل ، قارعةٍ تمسُّ الأصل[1] ، وتقطعِ الدابر ، فإني أُولي لك بالله أليَّة غير فاجرة[2] ، لئن جمعْتني وإياك جوامع الأقدار ، لا أزال بباحتك : ﴿ حتى يحكُم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴾ .

---

(١) القارعة : البلية والمصيبة . تمس الأصل : أي تصيبه فتقلعه . والدابر : هو الآخر ، ويُقال للأصل أيضاً ، أي لا تبقي لك أصلاً ولا فرعاً .

(٢) أُولي : أي أحلف بالله حلفة غير حانثة . والباحة : كالساحة وزناً ومعنى .

الفصل الخامس :

المـواعـظ والحِكَـم

المواعظ والحِكَم(*)

لقد روى ابن سعد وغيره ، عن ابن الطفيل ، أن علياً (ع) قال : « سلوني في كتاب الله تعالى فإنه ليس من آية ، إلا وقد عرفت بليلٍ نزلت أم بنهار ، أم في سهلٍ أم جبل » .

وروى ابن سعد أيضاً ، أن علياً (ع) قال : « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت ، وأين نزلت وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً ناطقاً » .

وقد اختلف الناس فيما بينهم ، في كل زمان ومكان ، في المقاييس عند النظر إلى العظماء ، فاتخذ كل واحد منهم مقياساً أقرب إلى غايته ، وأروج عند قومه . لكن الإجماع بين رواة السيرة والتاريخ الإسلامي ، كان عاماً ، بأن عناصر العظمة في شخصية الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، كانت واضحة الملامح ، وبينة المعالم ، لا تخفى على من يحاول تفسيرها حق التفسير ، أو يحاول أن ينفذ إلى دخائلها ومكنوناتها . فهو (ع)

(*) نهج البلاغة ، ج٤ ، ص ٥٢١ وما يليها .

نادر المثال ، في شجاعته وشدته في نصرة الدعوة ، يباشر الحرب ، ويتلقى المهالك ويمارس المخاطر .

وكما تجده في الشجاعة ، هو حكيم تتفجر الحكمة من جوانبه ، وعالِم يتلقى منه الناس علم التوحيد وأسرار الفقه ، ويأخذون عنه علم الأحكام ، ويرجعون إليه في علم العربية وشوارد اللغة ، وهو مثال في مبادىء التصوف والزهد ، وعقل مفكر في السياسة والإدارة ، حيث يضع الفروض ، ويسن الشريعة ، ويرسم الخطط ، لتكوين المجتمع الصالح والسياسة الرشيدة ، التي يعمل ولاته بموجبها ، ويسيرون على نهجها ، وفوق ذلك كله يكتفي من مطعمه بقرصين ، ومن ملبسه بطمرين ، لا تخدعه زخارف الدنيا ، ولا تجذبه مغرياتها ، فلقد انصرف عنها ، إلى تهذيب الروح وتصفية النفس ؛ فكان من أثر صفاء النفس ، والعلم الذي تلقاه عن رسول الله (ص) ، يقول : « سلوني . . . » فهو نسيج وحده في المزايا الإنسانية الرفيعة ، وهو المثال الأعلى ، في عمله وتقريره وقوله .

المختار من المواعظ والحِكَم
عند أمير المؤمنين (ع)

- اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ، ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم .
- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره ؛ وإذا أدبرت عنه ، سلبته محاسن نفسه .
- إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .
- إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى .
- إذا تم العقل نقص الكلام .
- احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع .
- أشد الذنوب ما استهان به صاحبه .
- إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله ، ثم سل حاجتك ، فإن الله أكرم من أن يُسأل حاجتين فيقضي احداهما ويمنع الأخرى .
- إن أعظم الحسرات يوم القيامة ، حسرة رجل كسب مالاً

في غير طاعة الله فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه ، فدخل به الجنة ، ودخل الأول به النار .

ـ استنزلوا الرزق بالصدقة .

ـ إذا هِبتَ أمراً فقع فيه .

ـ آلة الرياسة سعة الصدر .

ـ احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك .

ـ الإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .

ـ إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة .

ـ أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

ـ اتقوا ظنون المؤمنين ، فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم .

ـ إتقوا معاصي الله في الخلوات ، فإن الشاهد هو الحاكم .

ـ البخل عار ، والجبن منقصة ، والفقر يُخرس الفَطِن عن حجته ، والمقل غريب في بلدته ، والعجز آفة ، والصبر شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جُنه .

ـ البخل جامع لمساوىء العيوب ، وهو زمام يقاد به إلى كلِّ سوء .

ـ توقوا البرد في أوله ، وتلقوه في آخره ، فإنه يفعل في الأبدان ، كفعله في الأشجار ، أوله يحرق وآخره يورق .

ـ تكلموا تعرفوا ، فإن المرء مخبوء تحت لسانه .

ـ التقى رئيس الأخلاق .
ـ الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق ، والتقصير عن الاستحقاق عي وحسد[1] .
ـ الحكم غطاء ساتر ، والعقل حسام قاطع ، فاستر خلل خلقك بحلمك ، وقاتل هواك بعقلك .
ـ الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق .
ـ خالطوا الناس مخالطة إن متُّم معها بكوا عليكم ، وإن عشتم حنوا إليكم .
ـ رب قول أنفذ من صول .
ـ سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك .
ـ سوسوا إيمانكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء .
ـ شَر الأخوان من تلكف له .
ـ الصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحب .
ـ عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شرَّه بالإنعام عليه .
ـ العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى .
ـ عجبت لمن يقنط ومعه الإستغفار .
ـ عند تناهي الشدة تكون الفرجة ، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء .
ـ الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة .

---

(١) ملق : تملق . العي : العجز .

ـ فاعل الخير خير منه ، وفاعل الشعر شرٌّ منه .
ـ الفقر الموت الأكبر .
ـ فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .
ـ فقد الأحبة غربة .
ـ القناعة كنز لا ينفد .
ـ كن في الفتنة كابن اللبون[1] ، لا ظهر فيُركب ، ولا ضرع فيُحلب .
ـ كفاك أدباً لنفسك ، إجتناب ما تكرهه من غيرك .
ـ كم من أكلة منعت أكلات .
ـ كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنّه يتسع .
ـ كفى بالأجل حارساً .
ـ لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءً ، وأنت تجد لها في الخير محتملاً .
ـ لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته ، وغيبته ، ووفاته .
ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
ـ لا تستح من إعطاء القليل فإنّ الحرمان أقل منه .
ـ لكل امرىء في ماله شريكان : الوارث والحوادث .
ـ من كفارات الذنوب العظام ، إغاثة الملهوف ، والتنفيس عن المكروب .

---

(١) ابن اللبون : ابن الناقة إذا اكتمل سنتين .

ـ ما أضمر أحدٌ شيئاً إلّا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه .
ـ من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره .
ـ من رضي برزق الله ، لم يحزن على ما فاته .
ـ من سل سيف البغي قتل به .
ـ من دخل مداخل السوء أتهم .
ـ من كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قلَّ حياؤه ، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه ، ومن قلَّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار .
ـ ما خير بخير بعده النار ، وما شر بشر بعده الجنة ، وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية .
ـ المنية ولا الدنية ، والتقلل ولا التوسل ، ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً ، والدهر يومان يوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإن كان عليك فاصبر .
ـ من صارع الحق صرعه .
ـ من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لدينه كفاه أمر دنياه ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله ، كفاه الله ما بينه وبين الناس .
ـ من عظم صغار المصائب ، ابتلاه الله بكبارها .
ـ ما مزح أمرؤ مزحة ، إلّا مجَّ من عقله مجَّة .
ـ من وضع نفسه موضع التهمة فلا يلومن من أساء الظنّ به .

ـ من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها .

ـ من لان عوده كثفت أغصانه .

ـ من حذرك كمن بشرك .

ـ من نصب نفسه للناس إماماً ، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته ، قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها ، أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم .

ـ من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح أمر آخرته ، أصلح الله له أمر دنياه ، ومن كان له من نفسه واعظ ، كان عليه من الله حافظ .

ـ منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال .

ـ من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، كان كمن حرمت غيبته ، وكملت مروته ، وظهر عدله ، ووجب وصله .

ـ المؤمن بشره في وجهه[1] وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدراً ، وأذل شيء نفساً[2] ، يكره الرفعة ، ويشنو السمعة ، طويل غمه ، بعيد همه ، كثير صمته ، مشغول وقته ، شكور صبور ، مغمور بفكرته[3] ، ضَنِين

---

(١) البشر : البشاشة والطلاقة .

(٢) ذل نفسه لعظمة ربه ،وللمتضعين من خلقه .

(٣) يفرق بفكرته لأداء الواجب عليه لنفسه وملته .

بِخَلَّتِه[1] ، سهل الخليقة ، لين العريكة[2] ، نفسه أصلب من الصلد ، وهو أذلُّ من العبد .

ـ ماء وجهك جامد يقطره السؤال ، فانظر عند من تقطره .

ـ الناس أعداء ما جهلوا .

ـ الناس أبناء الدنيا ، ولا يلام الرجل على حب أمه .

ـ الهم نصف الهرم .

ـ الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله ، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله .

ـ يابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره .

ـ يوم العدل على الظالم ، أشد من يوم الجور على المظلوم .

---

(١) الخلة : الحاجة ، أي بخيل بإظهار فقره للناس .

(٢) العريكة : النفس .

ومن كتاب له (ع)
يعظ فيه ابن عباس(*)

أما بعد : فإنك لست بسابقٍ أجلك ، ولا مرزوق ما ليس لك ، واعلم بأنّ الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك ، وأنّ الدنيا دار دُوَل[1] ، وفما كان منها لك أتاك على ضعفك ، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك .

ومن كتاب له (ع) إلى عبد الله بن العباس(*) :

أما بعد : فإنّ المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته[2] ، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه ، فلا يكن

(*) نهج البلاغة ، ج٣ ص٥١٢و٥٠٧ .

(١) جمع دولة بالضم : ما يتداول من السعادة في الدنيا ينتقل من يدٍ إلى يد .

(٢) قد يفرح الإنسان بنيل مقدّورٍ له لا يفوته ،ويحزن لحرمانه ما قدر له الحرمان منه فلا يصيبه ، فإذا وصل إليك شيء مما كتب لك في علم الله ، فلا تفرح به إذا كان لذة أو شفاء غيظ ، بل عدد ذلك في عداد الحرمان ، وإنما تفرح بما كان ، إحياء حق وإبطال باطل ،وعليك الأسف والحزن ،بما تركت من أعمال الخير ، والفرح بما قُدِّمت منها لآخرتك .

أفضل ما نلت في نفسك من دنياك ، بلوغ لذة أو شفاء غيظ ، ولكن إطفاء باطل ، أو إحياء حق ، وليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلَّفت ، وهمُّك فيما بعد الموت .

ومن كلام له عليه السلام(*) :

أيها الناس ! إنّ أَخوفَ ما أخاف عليكم إثنتان : اتِّباع هوى وطول الأمل(١) . فأما اتباع الهوى ، فيصد عن الحق ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة . ألاّ وإنّ الدنيا قد ولت حذَّاءَ(٢) ، فلم يبق منها إلاّ صُبابة(٣) كصُبابة الإناء اصطبها صابُّها . ألا وإنّ الآخرة قد أقبلت ، ولكلٍّ منها بنون .

فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإنّ كل ولدٍ سيُلحقُ بأمه يوم القيامة . وإنَّ اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

(*) نهج البلاغة ، ج١ ، ص٩٠ .

(١) طول الأمل : هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل ، طلباً للراحة العاجلة وتسلية للنفس بإمكان التدارك في الأوقات المقبلة ، وهذا من أقبح الصفات . أما قوة الأمل في نجاح الأعمال الصالحة ، ثقة بالله ويقيناً بعونه ، فهي حياة كل فضيلة وسائقة لكل مجد ، والمحرومون منها آيسون من رحمة الله ، تحسبهم أحياء وهم أموات لا يشعرون .

(٢) الحذاء : بالتشديد الماضية السريعة .

(٣) الصُبابة (بالضم) : البقية من الماء واللبن في الإناء . واصطبها صابُّها كقولك أبقاها مبقيها أو تركها تاركها .

ومن كلام له عليه السلام(*) :

وليس لواضع المعروف في غير حقه ، وعند غير أهله ، من الحظ فيما أتى ، إلّا محمدةَ اللئام ، وثناءُ الأشرار ، ومقالةُ الجُهَّال ، ما دام منعماً عليهم ، ما أجود يَدَه وهو عن ذات الله بخيل !

فمن أتاه الله مالاً فليصل به القرابة ، وليحسن منه الضيافة ، وليفكَّ به الأسير والعاني ، وليعطِ منه الفقير والغارم ، وليَصْبِر نفسَه على الحقوق ، والنوائب ابتغاء الثواب ، فإنّ فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ، ودَرَكُ فضائل الآخرة إن شاء الله .

ومن كلام له عليه السلام(**) :

فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم(١) ، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم(٢) ، وترحلوا فقد جُدَّ بكم (٣) ، واستعدوا للموت فقد أظلكم(٤) ، وكونوا قوماً

(*) نهج البلاغة ، ج٢ ، ص ٢٣٤ .

(**) نهج البلاغة ، ج١ ، ص١٠٤ .

(١) بادروا الآجال بالأعمال : أي سابقوها وعاجلوها بها .

(٢) ابتاعوا : اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي بما يغني من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية .

(٣) الترحل : الانتقال . والمراد هنا إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل ، ألا وهو التقوى ، وجد بكم : أسرع بكم .

(٤) الإستعداد للموت : إعداد العدة للقائه بالأعمال الصالحة . أظلكم : قرب منكم حتى كأن له ظلاً قد ألقاه عليكم .

صيح بهم فانتبهوا[1] ، وعلموا أنّ الدنيا ليس لهم بدار فاستبدلوا ، فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى[2] ، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار ، إلّا الموت أن ينزل به[3] . . . .

فتزودوا في الدنيا من الدنيا ، ما تُحرزون به أنفسكم غداً[4] .

فاتقى عبد ربه ، نصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ، فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكّل به ، يزين له المعصية ليركبها ، ويمنيه التوبة ليسوّفها[5] ، حتى إذا هجمت منيته أغفل ما يكون عنها[6] . . . .

---

(١) أي كونوا قوماً حذرين : إذا استنامتهم الغفلة ، ثم صاح بهم صائح الموعظة انتبهوا . فاستبدلوا : أي استبدلوا الدار الدنيا بدار الآخرة .

(٢) سدى : أي مهملين ، بلا راعٍ يزجركم عما يضركم ، ويسوقكم إلى ما ينفعكم .

(٣) أي ليس بين الواحد منا وبين النار إلا نزول الموت به ،وليس بينه وبين الجنة إلا نزول الموت به ، فإما شقاء وإما نعيم .

(٤) ما تحرزون به أنفسكم : أي تحفظونها به ، وذلك هو تقوى الله في السر والنجوى وطاعة الشرع وعصيان الهوى .

(٥) يسوفها : أي يؤجلها ويؤخرها .

(٦) أي لا يزال الشيطان يزين له المعصية ، ويمنيه بالتوبة ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو في أشد الغفلة عنه

الباب الثالث

حكم عام وخاتمة

حكم عام وخاتمة

لقد جعل الله طاعته غنيمة لعباده ، فالمؤمنون يعرفون بسيماهم ، وأولياء الله هم الذين ينظرون إلى باطن الدنيا ، ويشتغلون بآجلها ، فتركوا ظاهر الدنيا وزخرفها ، واشتغلوا بالعلوم والمعارف والعبادة ، فأماتوا من شهواتهم ، وتركوا اقتناء الأموال ، فهم خصم لما سالمه الناس من الشهوات وحب الدنيا ، وسلم لما عاداه الناس من العلوم والعبادات ؛ وهذا حال الأئمة المعصومين ، وعلى رأسهم سيدهم ومولاهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) باب مدينة علم الرسول ، بهم عُلم الكتاب ، ولولاهم ما عُرف تأويل الآيات المتشابهات ، ولأخذها الناس على ظواهرها ، دلّ عليهم القرآن ، ونبه الناس على مواضعهم ، فقال عزّ من قائل : ﴿ **إنّما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ ، ونحو ذلك من الآيات التي تنادي إليهم ، وتخطب بفضلهم ، بهم قام الكتاب ، لأنهم قرروا البراهين على صدقه ، وصحة وروده من العزيز الحكيم

على لسان أمينه جبرائيل (ع) ، ولولاهم لم يقم على ذلك دلالة للعوام ، وباتباع أوامر الكتاب وآدابه قاموا ، فلولا تأدبهم بآداب القرآن ، وامتثالهم أوامره ، لما أغنى عنهم علمهم شيئاً .

وهكذا فالإئمة عامة ، وعلي (ع) ، بوجهٍ خاص ، هم عباد الله المكرمون ، اختصهم الله بمكرمات تسمو فوق المكرمات ، فكانوا في أعلى درجات الكمال الإنساني ، علماً وتقى وشجاعة وكرماً وعفّة ، وأخلاقاً فاضلة ، وصفات حميدة ، فهم معصومون منزهون ، طاهرون مطهرون ، غاية وجودهم إرشاد الناس إلى الحق وردعهم عن الباطل .

وعوداً على بدء ، إنّ لله رحمة بعباده المصطفين الأخيار ، وأصحاب القلوب الطاهرة ، والنفوس الطيبة النقية ، التي تقبل الحق وتتعشقه ، نفوس لا يمازجها تلون ، ولا يتسلط على اعنتها عناد ، ولا يستشري بها لجاج ، ولا يضعفها عن قبول الحق شهوة ، ولا رغبة ولا هوى معبود ، ولا عادة مستحكمة ، ولا تقليد موروث . تلك النفوس التي تجد ، لدى سماع الحق ناصراً لها من أفكارها ، وسنداً من يقظتها ، ومعواناً من فطنتها ، ولأنّ فهم الحق وإدراكه مرتبة ، والتخلي عن العادات والتقاليد والآراء الموروثة ، مرتبة أسمى وأرفع ؛ من أجل هذا كله ، كان علي بن أبي طالب (ع) .

لقد ارتسم الحق في نفس علي (ع) ، فاعتنقه ونبذ ما نشأت عليه عشيرته ، فتجرّد عن تراثهم ، وعقائدهم ،

فتعرض لسخط الوسط الذي عاش فيه ، ومقت القوم الذين خالفوا المبادىء الإسلامية ، وتعاليم الشريعة ، إلّا أنّ رسول الله (ص) كان يكرمه ، ويحله المكان الأسمى ، والمقام الرفيع .

كانت المحامد والمناقب وآيات النبوغ واضحة ، وآثار النجابة وضاءة لا تطفى في شخصية علي (ع) . كان (ع) عالي الشأن بعيد الصيت ، يتمتع بحدة ذكاء ودقّة حس ، ولطف شعور وكبر عقل ؛ وكانت قد نزلت ضائقة بأبي طالب ، فكان (ع) في كنف الرسول (ص) قائماً تحت ظلاله وفي رعايته ، يتولى تربيته ويسير على نور هدايته ، ويتلقى أسباب الحياة وأدوات الكمال منه .

لقد نشأ (ع) تحت رعاية رسول الله (ص) ، فكانت هذه النشأة أصدق وسيلة لإشرابه روح الإسلام ؛ فأشرقت نفسه(ع) بنور الإسلام ، إشراقاً يخفي معه كل بارق ، وضوء كل شارق ، سمع النداء ، ولبّى الدعوة ، وأغرم بها غراماً مازج اللحم والدم ، والتحم بأهواء النفس ، وامتزج بأخلاقه وملكاته ، وسيطر على أهوائه ونزعاته ؛ فقد تلقى مبادىء الإسلام منذ نعومة أظفاره ، وذلك لمّا هتف الرسول (ص) بالدعوة ، وكان علي (ع) في الثالثة عشر من عمره ، فهو واجد للتمييز ، صادق الحسّ ، ذكي الفؤاد قوي الجسم ، متين التركيب ، يعرف ما يأخذ وما يدع ، فوجدت الدعوة الإسلامية من نفس علي (ع) قبولاً وإخلاصاً ، فكان أول من أسلم ؛ فنشأت نفسيته نفسية إسلامية ، لا يمازجها شيء من

مظاهر خداعة ، ومغريات ملهية ، ومخاوف رهيبة ، تلقى الإسلام أفكاراً وعقائد ، واصطبغت بها نفسه ، وتكونت منها أخلاقيته ، وأبصر الحياة والأحياء بمنظارها ، وتعود التضحية بكل أسباب الحياة ، لا بل الحياة نفسها ، في سبيل المبادىء الإسلامية ، حيث أخذ الرسول (ص) يلقي تعاليمه وإرشاداته إلى علي (ع) ، وكان (ع) يقبل على ذلك بشغف وولوع ، إلى أن اطمأن الرسول (ص) إلى وثاقة خلق علي (ع) ، ومناعة نفسه ، استقامة واخلاصاً تجاوز التضحية في سبيل الدعوة ، فخاض حروب رسول الله (ص) ، بنفس واثقة ، مطمئنة بالدعوة ، لا تلفته المغريات ، ولا يرنو بطرفه إلى شيء في متاع الحياة الدنيا .

فقد حمل أعباء الجهاد ، بين يدي الرسول (ص) ، دفاعاً عن الدعوة ، وذوداً عن حياض الإسلام ، منذ كان ، ولم تخل موقعة حربية من مواقفه الشهيرة وغنائه العظيم ، فاستطار خبره إلى كل مسمع ، واتصل حديثه بكل رواية .

عمل بكتاب الله ، واتبع سنّة رسول الله (ص) ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ما استطاع ، مبتغياً ما عند الله ، راغباً فيما وعد الله ، لم تتناقض أفعاله ، ولم تختلف أقواله ، لا يخفى فضله ، ولا يطفأ نوره ، اعتصم بالله فعزَّ ، وآثر الآخرة فزهد ، قسم بالسوية ، وعدل في الرعية ، وكان عالماً بحدود الله من جميع البرية ، له المواقف المشهودة ، والمكرمات المحمودة .

اللهم إنّي أرغب إليك ، يا موضع شكوى السائلين ، ومنتهى حاجة الراغبين ؛ اسألك فيما يرضيك ، وأعوذ بك مما يؤذيك ، وأسألك العافية في الدين والدنيا والآخرة .

اللهم صلّ على محمدٍ وآل محمد وارزقني فواتح الخير وخواتمه ، واهدي باليقين معلني ، واصلح باليقين سرّي ، واجعل قلبي مطمئناً إلى ذكرك ، وعملي خالصاً لوجهك ، واجعلني ممن أناب إليك فقبلته ، وتوكل عليك فكفيته ، وتضرع إليك فرحمته ، وصلّ الله على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين .

المصادر والمراجع

١ ـ الأصفهاني : أبو الفرج ، **مقاتل الطالبيين** ، سنة ١٩٦١ .

٢ ـ الأصفهاني : السيد محمد مهدي الموسوي ، **دوائر المعارف** ، ط سنة ١٩٤٩ .

٣ ـ الأمين : السيد محسن ، **أعيان الشيعة** ، ط٤ .

٤ ـ الأندلسي : ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، دار الفكر .

٥ ـ أبو الفداء : الحافظ بن كثير ، **البداية والنهاية** ، مكتبة المعارف .

٦ ـ ابن أبي الحديد ، **شرح نهج البلاغة** ، دار المتنبي .

٧ ـ ابن سعد : **الطبقات الكبرى** ، دار صادر .

٨ ـ ابن هشام : **السيرة النبوية** ، دار القلم .

٩ ـ ابن اسماعيل : محمد ، **صحيح البخاري** .

١٠ ـ ابن حنبل : الإمام أحمد ، **مسند الإمام أحمد** .

١١ ـ أمين : أحمد ـ **التكامل في الإسلام** ـ دار النعمان .

١٢ ـ أمين : أحمد ، **فجر الإسلام** ، ط ٩ .

١٣ ـ الترمذي : محمد بن عيسى ، **صحيح الترمذي** .

١٤ ـ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ، **البيان والتبيين** ، دار الفكر .
١٥ ـ الحاكم : محمد بن عبدالله النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين** .
١٦ ـ الحنبلي : أبو الفلاح ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار المسيرة .
١٧ ـ الحسيني : عبد الحسين ، **سفينة النجارة** ، مكتبة التعاون .
١٨ ـ شرف الدين : عبد الحسين ، **المراجعات** ، ط٥ .
١٩ ـ شرف الدين : عبد الحسين ، **النص والاجتهاد** ، ط٤ .
٢٠ ـ الشرّي : محمد جواد ، **أمير المؤمنين** ، ط لبنان .
٢١ ـ الشيرازي : صادق الحسيني ، **أهل البيت في القرآن** ، ط١ .
٢٢ ـ الطبرسي : أحمد بن علي ، **الاحتجاج** ، ط النعمان .
٢٣ ـ الطبرسي : الشيخ أبو علي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار الكتاب اللبناني .
٢٤ ـ الطبري : ابن جرير ، **تاريخ الأمم والملوك** ، دار المعارف .
٢٥ ـ عبد المقصود : عبد الفتاح ، **الإمام علي بن أبي طالب** ، ط العرفان .
٢٦ ـ عبده : الإمام محمد ، **نهج البلاغة** ، المكتبة الأهلية .
٢٧ ـ العاملي : بهاء الدين ، **المخلاة** ، دار القاموس

الحديث .
٢٨ ـ فروخ : د . عمر ، **دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة** ، ط٢ .
٢٩ ـ الفيروزبادي : السيد مرتضى الحسيني ، **فضائل الخمسة من الصحاح الستة** ، مؤسسة الأعلمي .
٣٠ ـ القبيسي : الشيخ محمد حسن ، **ماذا في التاريخ** ، دار التعارف .
٣١ ـ القندوري : الشيخ سلمان بن إبراهيم ، **ينابيع المودة** ، مؤسسة الأعلمي .
٣٢ ـ القرشي : باقر شريف ، **حياة الإمام الحسين بن علي** ، ط الإنصاف .
٣٣ ـ القمي : الشيخ عباس ، **مفاتيح الجنان** ، دار الأضواء .
٣٤ ـ القزويني : ابن ماجة ، **صحيح القزويني** .
٣٥ ـ كتانة : سليمان ، **فاطمة الزهراء** ، دار الصادق .
٣٦ ـ المهاجر : عبد الحميد ، **اعلموا أني فاطمة** ، ط١ .
٣٧ ـ المازندراني : ابن شهراشوب ، **مناقب آل أبي طالب** .
٣٨ ـ مغنية : محمد جواد ، **تفسير الكاشف** ، دار العلم للملايين .
٣٩ ـ مغنية : حسن ـ **وقائع العرب** ـ عز الدين .
٤٠ ـ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ، **مروج الذهب في أخبار من ذهب** ، دار لأندلس .

٤١ـ النيسابوري : مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم .
٤٢ ـ هيكل : محمد حسنين ، حياة محمد ، ط١٣ .
٤٣ـ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر .

الفهرس

الإهداء ٥
كلمة التمهيد ٧

الباب الأول : الحياة

الفصل الأول : الزمان والمكان ١٥
١ ـ عبد المطلب وحفر زمزم ١٧
٢ ـ أبو طالب ٢٦
٣ ـ نسب أمير المؤمنين (ع) ٣١

الفصل الثاني : النشأة ٣٧
١ ـ طفولته مع الرسول (ص) ٣٩
٢ ـ أهل بيت الرسول (ص) ٤٢
٣ ـ بيان العصمة ٥٢
٤ ـ بعض شمائله وأدعيته ٥٦
٥ ـ حبه وبغضه ٦٥
٦ ـ أول المسلمين ٧١
٧ ـ مبيته في فراش الرسول (ص) ٧٤

الفصل الثالث : حركة الحياة ٨٣
١ ـ فضائله ٨٥

٢ ـ علمه ٨٩
٣ ـ شجاعته وسخاؤه وحلمه ٩٣
٤ ـ فصاحته وأخلاقه ١٠١
٥ ـ عبادته وقراءته وسياسته ١٠٥
٦ ـ زهده ١٠٩
٧ ـ سيرته ١١٣
٨ ـ زواجه ١١٥
٩ ـ أولاده ١١٩
١٠ ـ ما ورد في حقه في كتاب الله ١٢١
١١ ـ ما ورد في حقه (ع)
في أحاديث الرسول (ص) ١٢٥

الفصل الرابع : التعبير عن الحياة ١٣٣

١ ـ وقعة بدر ١٣٥
٢ ـ غزوة أُحُد ١٤٠
٣ ـ معركة الخندق ١٤٨
٤ ـ غزوة خيبر ١٥٥
٥ ـ حجة الوداع ١٥٩
٦ ـ وفاة الرسول (ص) ١٦٤
٧ ـ قصة السقيفة ١٦٧
٨ ـ في عهد الخلفاء الثلاثة ١٧١
٩ ـ حرب الجمل ١٨٢
١٠ ـ وقعة صفين ١٩١

١١ ـ التحكيم والنتائج ١٩٤
١٢ ـ ظهور الخوارج ١٩٨
١٣ ـ وقعة النهروان ٢٠٣
١٤ ـ ذكر مقتله (ع) ٢٠٨

الباب الثاني : صور الحياة

الفصل الأول : مضامين نهج البلاغة ٢١٥

مضامين نهج البلاغة والمبادىء الإسلامية ٢١٧
كلامه(ع) أعلى طبقات الفصاحة بعد القرآن والحديث ٢٢١

الفصل الثاني : الخُطب ٢٢٥

الخطب ٢٢٧
١ ـ من خطبة له (ع) في فرائض الإسلام ٢٣٠
٢ ـ من خطبة له (ع) : الجهاد ٢٣٢
٣ ـ من خطبة له (ع) في النهي عن التحاسد
والوصية بالقرابة والعشيرة ٢٣٥
٤ ـ من خطبة له (ع) في تمجيد الله ٢٣٨
٥ ـ من خطبة له (ع) لما أراد المسير إلى البصرة ٢٣٩

الفصل الثالث : الوصايا ٢٤١

الوصايا ٢٤٣
من كلامٍ له عليه السلام ٢٤٤

الفصل الرابع : الرسائل ٢٥٥

الرسائل ٢٥٧
١ ـ من كتاب له (ع) إلى أمرائه على الجيوش ٢٥٩
٢ ـ ومن كتاب له (ع) إلى بعض عماله
وقد بعثه على الصدقة ٢٦١
٣ ـ ومن كتاب له (ع) إلى معاوية ٢٦٣
الفصل الخامس : المواعِظ والحِكَم ٢٦٥
المواعظ والحِكَم ٢٦٧
المختار من المواعظ والحِكم عند أمير المؤمنين (ع) ٢٦٩
من كتاب له (ع) يعظ فيه ابن عباس ٢٧٦

الباب الثالث : حكم عام وخاتمة

حكم عام وخاتمة ٢٨٣
المصادر والمراجع ٢٨٩
الفهرس ٢٩٣

هذا الكتاب

* لا يمكن أن يحيط هذا الكتاب ولا غيره من المجلدات بعملاق كالإمام علي بن أبي طالب الذي تجلت فيه كل الفضائل والقيَم والمُثُل، وتحلى بكل صفة حميدة، وذهنٍ متوهج بأنوار العلم.

* يتناول هذا الكتاب أهم الأحداث التي جاءت بها الروايات بالنقد والتبصر والمقارنة والتجرد. لاخراجها حقيقة جلية واضحة تبين مكرمات ومواقف الإمام علي بن أبي طالب.